

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم

ظاهرة الغلو في الشعر العربي القديم

دوافعها و نتائجها

أبو نواس - المتنبي - ابن هاني الأندلسي
دراسة بلاغية نفسية

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
الربيعي بن سلامة

إعداد الطالب
أمال حليتي

لجنة المناقشة

- | | | |
|----------------|------------------------|----------------------------------|
| رئيساً | جامعة | الأستاذ الدكتور |
| مشرفاً و مقراً | جامعة منتوري ، قسنطينة | الأستاذ الدكتور الربيعي بن سلامة |
| عضواً مناقشاً | جامعة | الأستاذ الدكتور |
| عضواً مناقشاً | جامعة | الأستاذ الدكتور |

سنة 2003 / 2004

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

« شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز
الحكيم »

أل عمران ، الآية 18

المقدمة

عندما قرأت شعر قيس بن الخطيم الذي يقول فيه :
 ضربته في الملتقي ضربة فزال عن منكبه الكاهل
 فصار ما بينهما فجوة يمشي بها الرامح و النابل
 أدركت أنه شعر مختلف ، فيه شئ ما يثير الحواس ، فهو ليس شعرا عاديا يصف البطولة
 ويتغنى بالأمجاد ، ومدى قوة الشاعر و تصميمه على الأخذ بالثأر من قاتلي أبيه و جده.
 لكنني عندما اطلعت على شروحه و تعاليق النقاد عليه ، تبين لي أن لهم نظرة
 مختلفة ، فهم يخضعونه لمقياس العقل و العادة ؛ فالعقل البشري لا يتصور ضربة سيف
 تفصل الكاهل عن المنكب ، تبعده عنه في قوة ، تاركة فراغا يسمح للرامح و النابل أن يمرا
 بينهما ، كما أن العادة لم تثبت ذلك أيضا. فهذا من الشعر الذي يقولون عنه ما لا يقبل لا
 عقلا و لا عادة ، أو يقولون عنه أفرط قائله ، و أحال ، أو غلا ، أو تجاوز المقدار ، أو في
 أحسن الأحوال خرج عن طريق الشعر أو عن عموده.

وتساءلت هنا ، إذا لم يكن هذا هو الشعر، فما هو الشعر إذن ؟ هل الشاعر مجرد
 مؤرخ ينقل الوقائع بتجرد كما هي بالفعل دون أن يكون لإحساسه معنى أو وجود ؟
 قيس بن الخطيم في صورته السابقة لم يكن يصور ما حدث فعلا بل كان يصور ما
 تمنى حدوثه ، ليشفي غليله من القاتل. وعند العودة إلى الوراء ، إلى رواد الشعر عند
 العرب يظهر جليا أن شعرهم لم يكن مجرد نقل حرفي للواقع ؛ إمرؤ القيس الذي فتح باب
 الشعر ، لم تكن صورته أبدا من النوع التقريري بل على العكس ، كان حافلا بالأحاسيس ،
 حتى أنه غلا في بعض صورته كقوله :

كأن غلامي إذا علا حال متنه على ظهر طير في السماء محلق
 وكذلك زهير بن أبي سلمى الذي كان ينقح شعره حولا كاملا ، قال :

أو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
 وللنابغة الذبياني ناقد العصر الجاهلي صورة تنسب للغلو ، فيقول :

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصافح نار الحباب

لكن رغم هذا فقد كثر هذا اللون من الشعر في العصر العباسي ، بل يمكن القول أنه
 أصبح علامة مميزة لبعض شعرائه كأبي نواس الحسن بن هانئ ، أبي الطيب المتنبّي ، أبي
 العلاء المعري و أخيرا ابن هانئ الأندلسي ؛ فالعديد من النقاد قدامى و محدثين أكدوا على
 هذه الأسماء.

و هذه الملاحظة كانت حافزا لاختيار الموضوع ، فلا بد من وجود أسباب دفعت
 هؤلاء الشعراء للإكثار من الغلو ليكون ظاهرة مميزة لهم عن باقي معاصريهم ؛ هذا من
 جهة ، أما من الجهة المقابلة فمعظم الدراسات النقدية التي تناولت الغلو كانت دراسات
 بلاغية مدرسية تكرر نفس التعريف ، ونفس الشواهد ، ماعدا دراسات حديثة متميزة أكدت
 أهمية الغلو في بعث الحياة في الصور الشعرية و المسحة الجمالية التي يضيفها عليها.
 فالدكتور الأخضر عيكوس في رسالته للماجستير و أطروحته للدكتوراه كان رائدا في هذا
 المجال ، رغم أن الرسالة كانت خاصة بالصورة الشعرية عامة و الأطروحة خاصة بالبدع

ككل كما أن دراسة د/ منير سلطان المعنونة البديع تأصيل تجديد ، كانت جد مهمة لي في توضيح معالم البحث. كما حاولت الاعتماد على أكبر قدر ممكن و متوافر من الدراسات القديمة و الحديثة ، ليكون للبحث مجال أوسع و نظرة أشمل لظاهرة الغلو. لكن المشكلة التي واجهتني بهذا الخصوص، ليس انعدام المراجع بل تطابقها أحيانا ، خصوصا القديمة منها فمعظمها ينقل نفس النص ، و كأنها في أحيان كثيرة صورة طبق الأصل. أما من الناحية التطبيقية على الشعراء ، فابن هانئ الأندلسي كان أكثرهم صعوبة ، فديوانه غير مشروح ، و لغته صعبة مع انتشار إيماءاته المذهبية الخاصة و كذلك قلة الدراسات الخاصة به. لكن ورغم كل هذا فقد كان الموضوع مغريا إلى حد ما فهو سيتيح لي الاطلاع على قسم كبير من التراث النقدي العربي ، و الدراسات الحديثة كذلك و قد كان منهج البحث في بدايته تاريخيا عند عرض تعريف الغلو و مواقف النقاد منه ، ثم كان تحليليا تطبيقا نفسيا في القسم الآخر منه .و هذا التعدد كان لابد منه للإلمام بجوانب الموضوع المختلفة.

و قد قسمت البحث إلى مدخل و ثلاثة فصول ، تناولت في المدخل ثلاث نقاط :

- الأولى : تعريف الغلو ، حاولت الإلمام فيه بالجانبين اللغوي و الاصطلاحي.
- الثانية : تناولت فيها بعض المصطلحات التي لها علاقة بالغلو.
- الثالثة : كانت خاصة بموقف الدين من الغلو.

أما الفصل الأول فكان فصلا تمهيديا خاصا بمواقف النقاد من هذه الظاهرة. و أما الفصل الثاني فقد أفردته للدراسة البلاغية ، حيث تناولت فيه أسباب الغلو عند شعراء العصر العباسي عموما و نظرة أرسطو له ، كما حاولت إبراز جماليات الغلو مع التركيز على الشعراء موضوع الدراسة.

أما الفصل الثالث و الأخير فقد خصصته للدراسة النفسية حيث درست كل شاعر على حده ، و حاولت أن أكشف الأسباب التي دفعت به إلى ركوب مطية الغلو ، وإلى أي مدى كان غلوه مقبولا شعريا.

كما ألحقت بالبحث ملحقا خاصا بأبيات الغلو عند كل شاعر ، و أنهيت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج أو سجلته من ملاحظات عامة أو خاصة بكل واحد من شعراء الدراسة.

و إذا كنت لا أستطيع أن أزعم بأنني قد أتيت بما لم يستطعه الأوائل ، فإنني أطمح إلى أن يكون هذا الجهد قد أضاف شيئا جديدا أو نبّه إلى موضوع يمكن أن يستوفى بالدراسة من قبل باحثين أكثر إلماما و كفاءة.

و إذا كان لابد أن أختتم هذه المقدمة بكلمة ، فإنني أرى أن من واجبي و أنا أقف هذا الموقف أن أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث ، أو شجعني و لو بكلمة طيبة ؛ وأخص بالذكر هنا أستاذي المشرف الدكتور الربيعي بن سلامة.

أمال حليتيتم

مدخل

1. تعريف الغلو

- لغة

- اصطلاحاً

2. مصطلحات لها علاقة بالغلو

3. الغلو و الدين

للغلو معنيان على الأقل، أحدهما لغوي وهو المعنى الأصلي أو الأولي وثانيهما اصطلاحى، وسأحاول التعريف بكليهما بإيجاز:

أولاً : تعريف الغلو :

• لغة :

اتفق اللغويون على أن الغلو " ارتفاع الشيء و مجاوزة الحد فيه " ، و كل المعاني الأخرى تتصل بهذا الأصل¹ ، ففي لسان العرب : " و يقال غاليت صدق المرأة أي أغليت ، و منه قول عمر رضي الله عنه : لا تغالوا صدقات النساء ، و في رواية في صدقاتهن ، أي لا تبالغوا في كثرة الصداق ، و أصل الغلاء الارتفاع و مجاوزة القدر في كل شيء ... و قال بعضهم غلوت في الأمر غلوا و غلانية و غلانيا إذا جاوزت فيه الحد و أفرطت فيه "²

و لا يخرج تاج العروس عن هذا المعنى ففيه : " و غلا في الأمر غلوا كسمو من باب قعد : جاوز حده "³

و كذلك الأمر في محيط المحيط : " و الغلو في الأصل مجاوزة الحد و باقي المعاني متفرعة منه "⁴

• اصطلاحاً :

لا يخرج التعريف البلاغي للغلو عن المعنى اللغوي " الغلو تجاوز حد المعنى إلى غاية لا يكاد يبلغها "⁵. و تبرز مشكلة حد المعنى الذي يتجاوز في الغلو ، رغم أن التعريف الجامع المانع يحاول تحديده بما لا يكون ممكناً عادة و لا عقلاً⁶. لكن الأمر ليس بهذه السهولة و البساطة و لا يمكن لهذا التعريف أن يخضع للمنطق ، فمن خلال استعراض تعاريف النقاد و تطبيقاتهم الشعرية يبدو الأمر مختلفاً ، فابن قتيبة (ت 276 هـ) يتحدث عن تعظيم العرب لموت رجل منهم فيقولون : " أظلمت الشمس له ، و كسف القمر لفقده ، و بكته البرق و الريح و السماء و الأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة به و أنها

¹ ابن دريد. أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي المصري : جمهرة اللغة ، أعادت طبعه بالأوقست مكتبة المثنى بغداد لصاحبها محمد الرجب ، ط 1 - 1351 هـ مادة " غ ل و " .

² ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، دار صادر ، دار بيروت 1956 م / 1375 هـ : مادة " غلا " .

³ الزبيدي، محمد مرتضى:

تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط1/1306 هـ مادة غلا

⁴ البستاني، المعلم بطرس : محيط المحيط ، مكتبة لبنان - بيروت 1977 ص 665 مادة " غلا "

⁵ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت 1406 هـ - 1986 م ص 357 .

⁶ المراغي، أحمد مصطفى : علوم البلاغة : البيان والمعاني والبدیع ، دار إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ط 10 على الغلاف الخارجي ط 5 في داخل الكتاب 1992 ص 315 .

- عتيق عبد العزيز : في البلاغة العربية : علم المعاني ، البيان ، البديع ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، دون تاريخ ص 523 .

- الأسمر راجي : علوم البلاغة ، الموسوعة الثقافية العامة ، إشراف د. اميل يعقوب ، دار الجيل - بيروت 1420 هـ / 1999 م ط 1 ص 151 .

- حسين عبد القادر : فن البديع ، دار الشروق ، دون تاريخ ص 86 .

- الهاشمي السيد أحمد : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، مطبعة السعادة - مصر 1350 هـ / 1931 م ص 299 .

قد شملت و عمت "1 ، فبكاء السماء و الأرض و إظلام الشمس أمر مستحيل عقلا و عادة لا نقاش. أما عن حديثه عن الشعر فيكتفي بتجاوز المقدار ، و كان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن و ينسبها إلى الإفراط و تجاوز المقدار "2 ، و إن كنت سأبين فيما بعد أن الإفراط و الغلو في البلاغة العربية مترادفان ؛ فقد بقي تجاوز المقدار غير محدد لكن ذكر له بيت النابغة الذبياني "3 :

تقد السلو في المضاعف نسجه و توقد بالصفاح نار الحباب

فالسيف لا يمكن له أن يقطع الدرع المضاعف نسجه و فارسها حتى تصل الأرض فتوري النار إذا أصابت الحجارة ، فهذا ما لا يقع لا عادة و لا عقلا.

أما المبرد (ت 285 هـ) فيبدو تعريفه صارما أكثر " فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي : هو كالبحر ، و للشجاع هو كالأسد ، و للشریف سما حتى بلغ النجم "4 فهذه تشبيهات متداولة لا أثر للإفراط فيها ، لكنه يبدو مصرا ؛ فقد أورد قصة على لسان عمران بن حطان و زوجته ، فقد قيل : " أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط ! قال : أو فعلت ؟ قالت : أنت القائل :

فهناك مجزأة بن ثور كان أشجع من أسامة
أفيكون رجل أشجع من الأسد؟ "5

و حكمه على المثالين واحد ، فعبرة : " هو كالأسد " مفرطة كعبارة " أشجع من أسامة " دون تقريظ بين الحدين عكس عبد القاهر الجرجاني الذي فرق بينهما " فإذا شبه بالأسد ألقى بصورة الشجاعة بين عينيه و ألقى ما عاها فلم ينظر إليه ، فإن هو قال " زيد كالأسد " كان قد أثبت له حظا ظاهرا في الشجاعة و لم يخرج عن الإقتصاد ، و إذا قال " هو كالأسد " تناهى في الدعوى إما قريبا من المحق لفراط بسالة الرجل و إما متجورا في القول فجعله بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد و لا يعدم منها شيئا "6 فزيد كالأسد لا إفراط فيه و لا خروج عن الإقتصاد و يقرن المبرد للبيت السابق أبياتا أكثر غلوا لأبي دلف القاسم بن عيسى "7 :

له همم لا منتهى لكبارها و همته الصغرى أحل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر صار البر أندى من البحر
و لو أن خلق الله في مسك فارس و بارزه كان الخلي من
العمر

¹ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة 1954 ص 127 .

² المرجع نفسه ص 131 .

³ النابغة الذبياني ، زياد بن عمرو : الديوان ، شرح عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ، دون تاريخ ص 36
⁴ المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل ، علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، دون تاريخ الجزء 3 ص 128 .

⁵ نفسه الجزء 3 ص 128 .

⁶ الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 231 .

⁷ المبرد : الكامل الجزء 3 ص 128 .

" و فيما يبدو من الصور التي قدمها الشاعر ، أنه تعدى مرحلة المبالغة في وصف الشجاعة إلى تقديم نموذج خرافي لشجاعة ممدوحة ¹ و يظهر من كل هذا أن المبرد لم يعط الغلو تعريفا محددًا و إنما يشمل عنده أبسط تجاوز إلى الإفراط الظاهر.

يكتفي ابن المعتز (ت 296 هـ) بإيراد جملة من الأمثلة لما سماه الإفراط في الصفة دون تعريف محدد كقول إبراهيم بن العباس الصولي ² :

يا أخا لم أر في الناس خلا مثله أسرع هجرا و وصلا
كنت لي في صدر يومي صديق فعلى عهدك أمسيت أم لا

فالصديق الذي يكون صباحا صديقا ثم يتغير وده مساء يمكن أن يحدث و لا يخضع هذا المثال لمقياس " المستحيل عقلا و عادة " ، لكن ابن المعتز يذكر أمثلة أخرى ليس هذا حالها " ثم أسرف الخثمي حتى خرج عن حد الإنسان ، فقال :
يدلى يديه إلى القليب فيستقي في سربد بدل الرشاء المكرب

و قال آخر يهجو رجلا :

تبكي السموات إذا ما دعا و تستعيز الأرض من سجدته
إذا انتهى يوما لحوم القطا صرعا في الججو من نكهته

و قال آخر :

و أقسم لو خرت من استك بيضة لما انكسرت من قرب بعض إلى بعض ³

و هذه الصور لا تكاد تقع ، بل هي مستحيلة الحدوث فالإفراط في الصفة عند ابن المعتز درجات منه ممكن الحدوث لكنه نادر نوعا ما ، و منه ما يخرج عن حد الإنسان ، و آخر ملاحظة في تعريف ابن المعتز هي أن أكثر أمثله في الهجاء الساخر.

لم يشرح ابن طباطبا (ت 322 هـ) معنى الإغراق في المعنى و إنما ذكر مجموعة من الأشعار و استحسّن بعضها. كقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي و إن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيـد إليك نـوازع
" و إنما قال : " كالليل الذي هو مدركي و لم يقل كالصبح ، لأنه وصفه في حال سخطه فشبهه بالليل و هو له ، فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة " و مثله للفرزدق :

¹ سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف الإسكندرية ، جلال جزي وشركاه 1986 م ص 150 .
² ابن المعتز عبد الله: كتاب البديع ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشكوفسكي ، دار المسيرة ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب ط 2 1399 هـ / 1979 م ص 66 .
³ ابن المعتز : البديع ص 66 .

و قد خفت حتى لو أرى الموت مقبلا
لكان من الحجاج أهون روعة
ليأخـذني و الموت يكره زائره
إذا هو أغفى و هو سـام نواظره

حيث يقول ابن طباطبا عن هذه صورة: " فانظره إلى لطفه في قوله : " إذا هو أغفى " ليكون أشد مبالغة في الوصف إذ وصفه عند إغفائه بالموت ، فما ظنك به ناظرا متأملا متيقظا ، ثم نزهه عن الإغفاء فقال : " و هو سام نواظره " ¹. ففي هذه الأبيات حاول أصحابها الوصول إلى أبعد ما يسمح به المعنى ليكون أمتد تأثيرا و إلى جانبها ذكر أبياتا تصل درجة المستحيل إذا لم تتعدها.

و كقول قاسم بن الخطيم :

طعنت ابن القيس طعنة ثائر
ملكـت بـها كـفي فانهـرت فـتقـها
لها نقد لولا الشعاع أضـاءها
يرى قائم من دونها ما وراءها

و قول آخر :

ضربتـه في الملتقى ضربـة
فصار ما بينهما رهـوة
فزال عن منكبه الكاهـل
يمشي بها الرامح و النابل ²

و يبدو كذلك المجال واسعا عند ابن طباطبا فهو لا يضع مفهوما واضحا أو كما قال منير سلطان : " و أمام هذه المعارض التي يقدمها ابن طباطبا لفن من الفنون ، لا نستطيع أن نلم بمقصوده. " ³

و أما قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) فيبدو تعريفه مفصلا أكثر و واضحا أكثر و إن كان قد أكثر من المصطلحات من مبالغة ، استحالة ، تناقض و ممتنع محاولا وضع فروق بينها ، فالغلو عنده هو " تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، و ليس خارجا عن طباعه إلى ما يجوز أن يقع له ...
مثل قول النمر بن تولب :

تظـل تحفر عنه إن ضربت به
بعد الذراعين و الساقين و الهادي

فليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الذراعين و الساقين و الهادي و أن يؤثر بعد ذلك و يغوص في الأرض ، و لكنه مما لا يكاد أن يكون و كذلك ما قلناه فيما قال مهلهل :
فلولا الريح أسمع أهل حجر
صليل البيـض تـقرع بالذكور

¹ ابن طباطب العلوي : عيار الشعر ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع ، مطبعة المدى ، المؤسسة السعودية بمصر ، توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة ص 79 - 80 .

² ابن طباطب العلوي ، عيار الشعر: ص 77 - 78 .

³ سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 151 .

فإنه أيضا ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة ، و لا خارج عن طباع البيض أن تصل و يشتد طنينها بقرع السيوف إياها و لكن يبعد ببعد المسافة بين موضع الوقعة و حجر بعدا لا يكاد يقع¹ سيف النمر لا يمكن أن يقطع الذراعين و الساقين و العنق و يغوص في الأرض و يستحيل على صوت المعركة أن يصل من الشام إلى الجزيرة و تبدو تعليلاته سفسطائية فشدة سمع أهل حجر لا يمكن أن تزيد عن باقي البشر محدودة بالمسافة ، لكن غاية الغلو عند قدامة الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة ، ففي صدر كتابه يعرف الغلو بقوله : " و كل فريق إذا أتى من المبالغة و الغلو بما يخرج عن الموجود و يدخل في باب المعدم فإنما يريد به المثل و بلوغ النهاية في النعت "².

و عندما يتعرض القاضي الجرجاني (ت 392 هـ) للغلو ، لا يذكر المصطلح بلفظه إنما يستخدم باقي المصطلحات: " فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين ، و موجود كثير في الأوائل ، و الناس فيه مختلفون ، فمستحسن قابل و مستقبح راد و له رسوم متى وقف الشاعر عندها و لم يتجاوز الوصف حدها جمع بين القصد و الإستيفاء و سلم من النقص و الاعتداء "³

يعرض هذا النص على صغر حجمه جملة من الآراء الهامة ، أولها أن الإفراط منتشر بين المحدثين و موجود عند القدامى ، الثاني : اختلاف المواقف بين مستحسن و مستقبح و لن أعرض لهذه الآراء الآن فلكل منها مكانها في البحث لكن ما يهم الآن هو أن الجرجاني لم يقدم تعريفا سواء كان مجملا أو مفصلا و إنما بدا و كأنه يتحدث عن ظاهرة عامة معروفة للجميع لا تحتاج إلى تعريف. و ما يشد الانتباه كذلك في نصه السابق الرسوم التي يتحدث عنها و إن لم يحددها و لا حدها الذي لا يجب أن يتجاوز الوصف بلا إفراط و لا تقريط ، و يذكر بعد ذلك جملة من الأمثلة على سبيل الإيضاح و الاحتجاج للمتنبى :

فإذا سمع المحدث قول الأول :

ألا أينما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب

و قول آخر من المتقدمين :

يسر على أن يقول :

أسر إذا نحلت و ذاب جسمي لعل الريح تسـفـي به إليـه
و استحسن غيره أن يقول :

ذاب فلو زج بجسمانيه في ناظر الوسنان لم ينتبه
و سهل لأبي الطيب المتنبى الطريق فقال :

و لو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب
و قال :

¹ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الفانجي ، القاهرة ط 3 ص 214 .

² نفسه : ص 62 .

³ لجرجانيالقاضي علي بن عبد العزيز ا : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل ابراهيم و علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية - لبنان ، دون تاريخ ص 420 .

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني¹

أما العسكري (ت 395 هـ) فيفرد للغلو الفصل العاشر من الصناعتين و يعرفه قائلا:
" الغلو تجاوز حد المعنى و الارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها "². و تعريفه لا يخرج عن
المعنى اللغوي للغلو كما ذكرت سابقا لكن اللافت عند العسكري هو الأمثلة التي ذكرها من
القرآن الكريم و يثبت من خلالها أن الغلو كاد يفعل فيقول : " و قال الله تعالى : " و
إن كان مكرهم لتزول منه الجبال "³ بمعنى لتكاد تزول منه الجبال ، و يقال أنها في
مصحف ابن مسعود مثبتة و جاءت في القرآن الكريم مثبتة و غير مثبتة ، قال تعالى : " و
إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم "⁴ ، و قال الشاعر :

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطئ الأفق — دام

و كاد إنما هي للمقاربة ، و هي أيضا مع إثباتها توسع "⁵
أما الباقلائي (ت 403 هـ) فيبدو أكثر غموضا ، ففي كتابه إعجاز القرآن يذكر شواهدا
شعرية تنتسب إلى الغلو لكنه يذكر أنها من البديع فقط دون إيراد مصطلح الغلو، يقول : " و
من البديع عندهم كقول النمر بن تولب :

أبقى الحوادث و الأيام من نمر أسناد سيف قديم باتره بادي
تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين و القيدتين والهادي
و كقول النابغة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الحباحب
و كقول عنتره :

فازور من وقع القنا بلبان — و شكا إلي بعبرة و تحمحم
و كقول أبي تمام :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخر يلثم منه موطئ الق — دم
و كقول البحتري :

و لو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه ، لمشى إليك المنبر —

و من هذا الجنس في القرآن : " يوم نقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد "⁶
و قوله : " إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و زفيرا "⁷ و قوله : " لا تكاد تميز من
الغيظ "⁸ " ⁹ و كما هو واضح من هذه الأبيات ، و بعضها يعد من الأمثلة المثالية المتكررة

¹ القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 420 - 421 .

² العسكري : كتاب الصناعتين ص 357 .

³ سورة إبراهيم آية 46 .

⁴ سورة القلم آية 51 .

⁵ العسكري : كتاب الصناعتين ص 357 .

⁶ سورة ق آية 30 .

⁷ سورة الفرقان آية 72 .

⁸ سورة الملك آية 8 .

⁹ الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب : إعجاز القرآن ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتاب الثقافية ط 1 1990 م / 1411 هـ ص 102 - 103 .

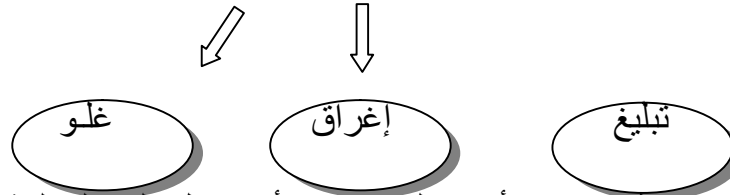
للغلو عند غيره من النقاد لكنه عدها من البديع ! فهل البديع و الغلو عنده مترادفان عنده أم أن من باب إطلاق الكل على الجزء باعتبار الغلو نوعا من البديع المعنوي ؟ لكن الباقلاني يذكر بعد ذلك الغلو كنوع من البديع " و يعدون من البديع المبالغة و الغلو " ¹ و يذكر له أمثلة أخرى دون تعريفه.

وأفرد ابن رشيق القيرواني بابا خاصا بالغلو و اعتبر أن الإفراط و الإغراق من أسمائه و اعتبره محالا لمخالفته الحقيقية و خروجه عن الواجب و المتعارف ² و هو تعريف لا يخرج عن المعنى اللغوي كما قرر ذلك في نهاية الباب و لا عن التعاريف السابقة. و عندما يعرف الزمخشري (ت 538 هـ) الغلو : يقرن بينه و بين الإسراف : " فهو مجاوزة الحد تجاوزا غير مطلوب ، فمن قرأ الآية : " ألا تعلوا علي و أنتوني مسلمين " ³ ، " ألا تعلوا علي " من الغلو و هو مجاوزة الحد ، و الغلو الإسراف أيضا ، " و الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما " ⁴ ، فالتقتير : التضييق الذي هو نقيض الإسراف ، و الإسراف : مجاوزة الحد في النفقة ، و وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو و التقصير ⁵

والإفراط و الغلو مترادفان عند حازم القرطاجني (ت 684 هـ) فالإفراط " هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حد الإمكان إلى الامتناع و الاستحالة " ⁶. كما لا يترك تعريف الممتنع و المستحيل و التفريق بينهما " إن الممتنع : هو ما لا يقع في الوجود و إن كان متصورا في ذهن كتركيب يد أسد على رجل مثلا و هو ما لا يصح وقوعه في وجود و لا تصويره في ذهن ككون الإنسان قائما قاعدا في حال واحدة " ⁷. و أصبح المستحيل بعد حازم هو الحد الذي إذا بلغه الوصف صار غلوا ، و أصبح التعريف مكررا يعتمد على نفس الأمثلة بداية من الخطيب القزويني (ت 739 هـ) حين يقول : " و من المبالغة المقبولة ، و المبالغة أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا ، لئلا يظن أنه غير متناه فيه ، و تنحصر في التبليغ و الإغراق و الغلو لأن المدعى إن كان ممكنا عقلا و عادة فتبليغ ... و إن كان ممكنا عقلا لا عادة فإغراق ... و إلا فغلو " ⁸ ، فهذا يعني أن المبالغة عنده هي الأصل و تنفرع منها باقي المفاهيم حسب المخطط التالي :

المبالغة

- ¹ الباقلاني، اعجاز القرآن: ص 114 .
- ² ابن رشيق القيرواني : العمد في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق وشرح مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1983 م ص 287 .
- ³ سورة النمل آية 31 .
- ⁴ سورة الفرقان آية 67 .
- ⁵ الزمخشري أبو القاسم : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دون تاريخ الجزء 3 ص 100 .
- ⁶ القرطاجني حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن فوجة ، دار الكتب الشرقية - تونس 1964 ص 76 .
- ⁷ نفسه: ص 76 .
- ⁸ القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقى ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر 1350 هـ / 1932 م ط 2 ص 370 - 372 .



و الغلو هو المستوى الأخير الذي يمكن أن تصل إليه المبالغة الحد المستحيل أو المستبعد و يذكر له قول أبي نواس :
و أخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التي لم تخلق¹

و يتكرر التعريف و الأمثلة عند الشراح بعده دون زيادة تذكر غير أن السجلмасي ينحو نحو آخر لا يشبه فيه أي بلاغي آخر من كثرة الأجناس و الأنواع لكن التعريف لا يتغير كثيرا عما سبق ، فالغلو " و هو المدعو الإفراط عند قوم في صناعة الاشتقاق هو منقولهم " غلا في الأمر يغلو غلوا " و هو يرادف الإفراط ، ثم نقل من ذلك الحد إلى علم البيان على ذلك الاستعمال و الوضع فيوضع فيه علة الإفراط في الإخبار عن الشيء و الوصف له ، و مجاوزة الحقيقة فيه إلى المحال المحض ، و الكذب المخترع لغرض المبالغة ، و بالجملة هو أن يكون المحمول ليس في طبيعته أن يصدق على الموضوع و ليس في طبيعة الموضوع و لا في وقت و لا على جهة أن يصدق عليه المحمول² " فقد أكد ثلاث مرات على الترادف بين الإفراط و الغلو و كغيره من النقاد و البلاغيين فالغلو عنده هو تجاوز حد الحقيقة إلى المستحيل ، مع استعمال المصطلحات المنطقية و التمثيل بالأبيات الشعرية المعتادة ، " و من صور هذا النوع قول النابغة :

تقد السلوقي في المضاعف نسجه
و قوله :
و توقد بالصفاح نار الحباب

فلو أن ما أبقيت مني معلوق
يعود تمام ما تأود عوده ها
و قوله :

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت
لها وشا جالت عليها الخلاخل³

ثانيا : مصطلحات لها علاقة بالغلو:

غالبا ما يرتبط الغلو بالعديد من المصطلحات الأخرى كمرادفات أو أنها تنتمي إلى نفس المجال أو كما قال زغلول سلام : " و الإفراط في الإغراق ذكره ابن قتيبة في المشكل باسم المبالغة أثناء دراسته للاستعارة و أفرد لها ابن المعتز بابا في البديع سماه باسم ابن قتيبة في الشعر و الشعراء (الإفراط في الصفة) ، و ذكره أبو هلال باسم الغلو و جعل المبالغة لونا آخر ، و يذكره ابن رشيق باسم الغلو كذلك و المدلول واحد اختلف

¹ القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ص 372 .

² السجلмасي أبو القاسم : المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تقديم وتحقيق علال الغازي ، مكتبة المعارف - الرباط 1401 هـ / 1980 م ، ط 1 ص 273 - 274 .

³ نفسه:ص 275 .

البلاغيون في تسميته و التفرغ منه فجعلوا منه المبالغة و الإيغال و الغلو... إلخ¹ و لا يمكن أن يكون مفهوم الغلو جليا دون تحديد باقي المفاهيم ولعل أهمها :

المبالغة : " أن تبلغ في الأمر جهدك "² و هو المعنى ذاته في تاج العروس مع زيادة عدم التقصير³. أما عند ابن عباس (ت 68 هـ) فهي " بلوغ الغاية و الكمال في الأمر " قال تعالى : " قول معروف و مغفرة خير من صدقة يتبعها أذى و الله غني حليم "⁴ الغني الذي كمل في غناه ، و الحليم كمل في حلمه⁵ و هو مفهوم لا يخرج عن المعنى اللغوي " و يقال أن قدامة بن جعفر هو الذي أطلق هذا المصطلح و سمي من بعده عند غيره التبليغ و الإفراط في الصفة "⁶ و قد أفرد لها قدامة جزءا من نقد الشعر و حرفها و أفرد العديد من الأمثلة ، حيث يقول : " المبالغة و هي أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في الشعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما يذكره من ذلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له ، و ذلك مثل قول عمير بن الأيهم التغلبي :

و نكرم جارنا مادام فينا و نتبعه الكرامة حيث مالا

فإكرامهم للجار مادام فيهم من الأخلاق الحميدة الموصوفة و إتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل "⁷ ، فالمبالغة عنده كما في المعنى اللغوي تماما الاجتهاد و عدم الاقتصار على الحد الأوسط ليكون أبلغ و أكثر تأثيرا في المتلقى.

أما عند العسكري فالمبالغة : " أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته و أبعد نهايته و لا تقتصر في العبارة عند أدنى منازلها و أقرب مراتبه ، و مثال من القرآن قول الله تعالى : " يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى "⁸ و لو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا و بلاغة كاملة ، و إنما خص المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها و أشفق به لقربه منها و لزومها له ، لا يفارقها ليلا و لا نهارا ، و على حسب القرب تكون المحبة و الألفة "⁹ ثم يذكر العسكري نوعا آخر من المبالغة و ينقل تعريف قدامة السابق و أمثلة ، و يبدو عنده أن الفرق بين النوعين كون المبالغة في النوع الأول تكون في كلمة واحدة فقط أما في النوع الثاني فتكون في تركيب كامل ينقل الصفة.

¹ سلام محمد زغلول ، أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف - مصر ، ط 3 ، 1968 م ص 214

² ابن منظور : لسان العرب مادة " بلغ " .

³ الزبيدي : تاج العروس مادة بلغ .

⁴ سورة البقرة آية 263 .

⁵ سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف - الإسكندرية ، جلال حزي وشركاه 1986 ص 123 عن تفسير الطبري ، دار المعارف ، تحقيق محمود وأحمد شاکر جزء 5 / 521 .

⁶ الأخضر عيكوس : ظاهرة البديع في الشعر العربي ، دراسة في الوظيفة والمصطلح ، أطروحة دكتوراه ، إشراف د. مختار بولعراوي - جامعة قسنطينة ، معهد الآداب واللغة العربية سنة 1416 هـ / 1995 م .

⁷ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 141 .

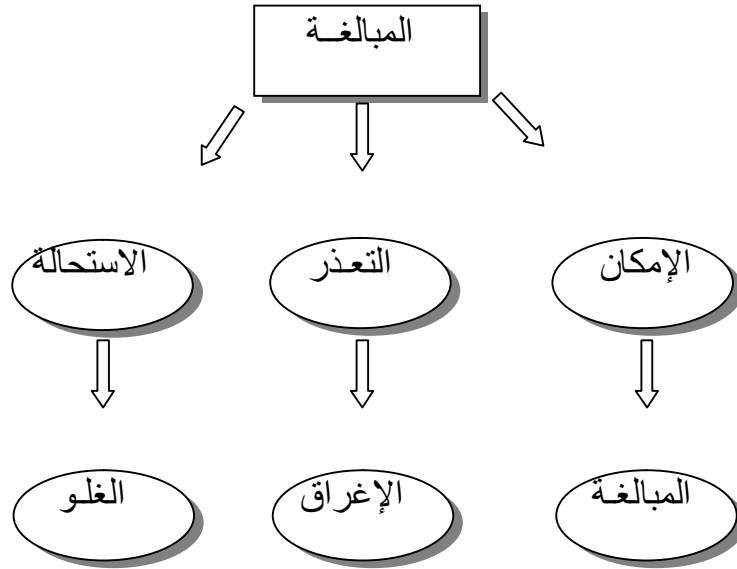
⁸ سورة الحج آية 2

⁹ العسكري : كتاب الصناعتين ص 365 .

و المبالغة عند الباقلاني : " تأكيد معاني القول " ¹ و يذكر لها نفس الأمثلة السابقة دون أن يشرح تعريفه و إن كان لم يأت فيه بجديد فهو لا يخرج عن التعريفات السابقة في إيجاز شديد.

و لأسامة بن منقذ (584 هـ) نفس الرأي حيث يقول: " أعلم أن المعنى إن زاد عن التمام سمي مبالغة ، و قد اختلفت ألفاظه في كتبهم فسمّاه قوم : الإفراط و الغلو و الإيغال و المبالغة ، و بعضه أرفع من بعض " ² و يتوقف هنا ليسرد قائمة طويلة من الشواهد الأدبية دون أن يبين الفروق بين هذه المصطلحات.

و المبالغة عند يحيى بن حمزة العلوي (759 هـ) " أن تثبت للشئ وصفا من الأوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره إما على جهة الإمكان أو التعذر أو الاستحالة " ³ و يقرر أن الإمكان و التعذر و الاستحالة تشمل أنواع المبالغة وفق ثلاثة مستويات و يضع بعد ذلك لكل مستوى اسما حسب المخطط التالي :



فمصطلح المبالغة عنده يحمل دالتين ، الدلالة الأولى التي ذكرت سابقا ، و الدلالة الثانية الوصف الزائد عن الحد الأوسط و في نفس الوقت ممكن الوقوع.

و عند مقارنته بمخطط القزويني السابق ، يظهر الاختلاف في المستوى الأول فالقزويني يسميه تبليغا في حين أن العلوي يحتفظ بمصطلح المبالغة .

والمصطلح الثاني الذي يجب الوقوف عنده لارتباطه بالغلو هو " الإغراق " ففي معجم مقاييس اللغة " العين و الراء و القاف أصل واحد صحيح يدل على انتهاء في شيء يبلغ أقصاه " ⁴. أما في جمهرة اللغة " أغرق في الشيء يغرق إغراقا إذا جاوز الحد " ¹. و

¹ الباقلاني : إيجاز القرآن 114 .

² ابن منقذ أسامة بن مرشد بن علي: البديع في البديع نقد الشعر ، تحقيق علي مهنا ، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 1407 هـ / 1987 م ص 155 .

³ العلوي يحيى بن حمزة : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، ج 3 / 117 .

⁴ بن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت ط 1 ، 1411 هـ / 1991 م جزء 4 / 418 .

⁵ السجل ماسي : المنزاع البديع ص 273 .

يستخدم الإفراط دائما كمرادف للغلو و لهما نفس المعنى اللغوي. جاء في جمهرة اللغة " و الفرط أيضا تجاوز الحد "¹. و في لسان العرب " أفرط في الأمر أسرف و تقدم "² و تاج العروس " و الفرط بالفتح الاسم من الإفراط و هو مجاوزة الحد في الأمر "³. و قد يستخدم أحيانا عوضا عن العلون قال ابن الأثير الأربيلي : الإفراط : و هو الإسراف و تجاوز الحد كقول أبي الطيب :

و كفى اليمين بفتك خوفا لأفردت اليمين من الشمال⁴

أما المحال و الإحالة و المستحيل فكلها مصطلحات تحمل نفس الدلالة. ففي تاج العروس " كل ما تحول و تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال و استحال "⁵ ، و هذا أيضا ينطبق على الكلام " و المحال من الكلام : ما عدل به عن وجهه و حوله : جعله محالا ، و أحال : أتى بمحال ، و رجل محوال : كثير محال الكلام ، و كلام مستحيل : محال. و يقال : أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته و روى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال : المحال الكلام لغير شيء ، و المستقيم كلام لشيء⁶ ، فالمحال هو التغير من الصواب إلى الاعوجاج و عند الخليل المحال ضد المستقيم ، و يفصل سيبويه المستقيم المحال أكثر و ينوع من المستقيم ثلاثة أنواع و من المحال نوعين. " فمنه مستقيم حسن و محال و مستقيم كذب و مستقيم قبيح و ما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، و سأيتك غدا ، أما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا و سأيتك أمس ، و أما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، و شربت ماء البحر و نحوه ، و أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير مواضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت و كي زيدا يأتيتك ، و أشباه هذا ، و أما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس "⁷ و أمثلة المحال تبين مفهومه عند سيبويه فهو " إدعاء وقوع الحدث قبل وقته ، و هذا ممتنع ، أو ادعاء وقوعه قبل فوات ظرفه ، و هذا ممتنع كذلك ، و مثاله صريحان في هذا ⁸،

أما النوع الذي له علاقة بموضوع البحث فهو المستقيم الكذب بمثاليين يتضمنان مبالغة " حملت الجبل " و " شربت ماء البحر " . و قد بين الدكتور رابح دوب كيف أن سيبويه قد جهد للمبالغة أو الغلو فهو أولا لا يقصد الكذب الخلقي و إنما التخييل الفني ، و ثانيا دعوى شرب ماء البحر " غير مقبولة من مدعيها الاستحالة وقوع مدلولها عقلا و عادة ، فالعقل لا يجوز أن يشرب إنسان ما مهما كان ماء البحر دفعة واحدة و لا

¹ ابن دريد : جمهرة اللغة ، مادة ر ط ف .

² ابن منظور : لسان العرب ، مادة فرط .

³ الزبيدي : تاج العروس ، مادة فرط .

⁴ الصاوي الجويني، مصطفى: البديع لغة الموسيقى والزخرف منشأة المعارف الاسكندرية دون تاريخ : ص 201.

⁵ الزبيدي : تاج العروس مادة حول .

⁶ ابن منظور : لسان العرب مادة حول .

⁷ دوب رابح : البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الفجر للنشر والتوزيع - القاهرة ط 1 ،

1997 ص 75 ، عن كتاب سيبويه جزء 1 ص 8 .

⁸ نفسه:ص 76 .

على دفعات ، و لو عمر نوح عليه السلام ، و ما منعه العقل منعه كذلك العادة و هذا ما أطلق عليه المتأخرون اسم " الغلو " أحد أنواع المبالغة الثلاثة¹ و يفرق العسكري بين المستقيم الكذب و المحال مستعينا بكلام سيبويه و أمثله ، و إن كان تفرقه غيبيا غير مقتنع ، فالمحال عنده " ما لا يجوز كونه البتة كقولك : الدنيا في بيضة ، و أما قولك : حملت الجبل ، و أشباهه فكذب و ليس بمحال ، إذ جاز أن يزيد الله في قدرتك فتحمله "2 ، و هذا التفسير يمكن أن يقاس كذلك على المحال فيمكن أن يخلق الله بيضة تسع الأرض ، و لا يصبح للغلو أي وجود " آية " ، و يرد المستحيل عند النقاد مرتبطا بالمتناقض و الممتنع مرادفا للأول عند قدامة " المتناقض لا يكون و لا يمكن تصويره في الوهم "3 ، و هو التعريف ذاته الذي يقدمه ابن سنان للمستحيل في سر الفصاحة الفصاحة حيث يقول : " المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده و لا تصويره في الوهم "4 و الممتنع عند كليهما واحد ما " لا يكون و يجوز أن يتصور في الوهم "5 ، " و يظهر التداخل بين هذا المفهوم و مفهوم الغلو فيحاول أن يضع الحدود الفاصلة مستعينا بالشواهد الأدبية و مما جاء في الشعر – قد وضع للممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يا أمين الله عش أبدا دم على الأيام و الزمن

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاعل لهذا الممدوح بقوله عش أبدا أو دعا له ، و كلا الأمرين مما لا يجوز : مستقيح⁶ و هذا البيت ينطبق عليه تعريف الغلو ، و كثيرا ما صنف في هذا الباب و انتبه قدامة للأمر و تفتن إلى أنه ناقض نفسه فأخرج الشاهد من حد الغلو إلى الممتنع حسب تعريفه السابق ، فالإنسان لا يمكن أن يعيش أبدا و لا مكان في الدعاء ليكاد⁷.

إلى جانب هذه المصطلحات الراسخة العلاقة بالغلو ، و التي دائما يكون مقترنا بها أو مرادفا لها في أحيان كثيرة و مما يدل على ذلك ما جاء في لسان العرب " و منه قول عمر رضي الله عنه : لا تغالوا صدقات النساء ، و في رواية : لا تغالوا صدق النساء ، و في رواية : في صدقاتهن : أي لا تغالوا في كثرة الصداق "8 ، توجد مصطلحات أخرى على علاقة أقل بالغلو و إن كانت لا تخرج عن الإطار العام للمبالغة.

فالتتميم محسن بديعي يذكر غالبا بعد المبالغة بأنواعها ، و لم يأت هذا الترتيب اعتباطا ، فالعلاقة بينهما وطيدة ، فابن رشيق يسميه " التمام أيضا و بعضهم يسمي ضربا منه احتراسا و احتياطا ... و معنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع ما يتم به حسنه إلا أورده و أتى به إما مبالغة و إما احتياطا و احتراسا من التقصير "9 ، و القسم

¹ دوب: البلاغة عند المفسرين: ص 77 .

² العسكري أبو هلال : كتاب الصنائع ص 70 .

³ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 213 .

⁴ الخفاجي ابن سنان : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط 1 ، 1402 هـ / 1982 م ص 243 .

⁵ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 213 .

⁶ نفسه: ص 213 .

⁷ نفسه ص 214 .

⁸ ابن منظور : لسان العرب ، مادة " غلا " .

⁹ ابن رشيق : العمدة ص 279 .

الأول من التتميم غرضه المبالغة ، أي تجاوز الحد الأوسط في التعبير إلى الحسن و الكمال.

و التتميم بهذا المعنى لا يختلف عما أورده العلوي مستعينا بالشواهد ذاتها و مثاله قول زهير :

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه و الندى خلقا
فقوله " على علاته " تتميم للمبالغة ، ف وقعت في غاية الحسن و الرشاقة كما نرى ، و المراد بقوله على علاته أي على حالاته¹. و المبالغة هنا لا تخفى فهرم إنسان و لا يمكن أن يكون ثابتا في خلقه في جميع الحالات فلا بد أن يغضب ، أو يثور أحيانا. أما السلجماسي فالتتميم عنده يندرج تحت المبالغة ، لكنه يحتفظ بنفس التعريف و نفس الأمثلة².
و الاختلاف بين الإيغال و التتميم بسيط ، فالتتميم يكون في مشق البيت و الإيغال لا يكون إلا في القافية ، و الإيغال مشتق من " الإبعاد ، يقال أوغل في الأرض إذا أبعد فيما حكاه ابن دريد و قال و كل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه " ، فمن القول الأول يكون الشاعر قد أبعد في المبالغة ، و من الثاني يكون قد أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته بالقافية.

و الإيغال عند ابن رشيق و السلجماسي ضرب من المبالغة و عند الحاتمي هو التبليغ³.
انفرد القاضي عبد الجبار (415 هـ) بمصطلح التباعد و استعمله بدل المبالغة أو الغرض و التمثيل و استخدم أمثلة صنفها بعض البلاغيين في باب الغلو كقوله تعالى : " و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " ⁴ ، " و هو وجه التباعد يحقق أن دخولهم الجنة لا يقع " ⁵ و البعد يحمل في معانيه معنى التناهي في الأمر ، ففي لسان العرب " و في حديث قتل أبي جهل : هل أبعد من رجل قتلتموه ؟ قال ابن الأثير : كذا جاء في سنن أبي داود معناها أنهى و أبلغ ، لأن الشيء المتناهي في نوعه يقال قد أبعد فيه ، و هذا أمر بعيد لا يقع مثله لعظمه و المعنى أنك استعظمت شأني و استبعدت قتلي فهل هو أبعد من رجل قتله قومه " ⁶ ، و الغلو أيضا يحمل هذا المعنى : معنى البعد و التناهي في الأمر و أحيانا يذكر لفظ الاستبعاد في التعريف " بلغ و وصل من مراتب الشدة أو الضعف حدا أي طرفا و مكانا مستحيلا أو مكانا مستبعدا يقرب من المحال " ⁷ ، و هذا هو نفسه تصور القاضي عبد الجبار للتباعد كمصطلح بدعي فهو يقصد " تباعد الأمر المراد في الآية و أن العقل لا يتصوره واقعا بل و لا داخلا في الإمكان " ⁸.

¹ العلوي يحيى بن حمزة : الطراز جزء 3 ص 104 .

² السلجماسي : المنزع البديع ص 323 - 324 .

³ ابن رشيق : العمدة ص 287 .

⁴ سورة الأعراف آية 40 .

⁵ لاشين عبد الفتاح : بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار و أثره في الدراسات البلاغية ص 417 .

⁶ ابن منظور : لسان العرب مادة بعد .

⁷ الدسوقي : حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر جزء 4 / 358 .

⁸ لاشين عبد الفتاح : بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار و أثره في الدراسات البلاغية ص 423 .

يعتبر السجلّماسي غرض التشبيه المقلوب من الغلو و المبالغة في الوصف ، و قد أورد عدة شواهد شعرية دون أن يعطي أية تفصيلات ، هل يقصد الغلو بمعناه الاصطلاحي الدقيق ، أم أنه يقصد مجرد التناهي في الأمر و من قوله :

كأن سبيئة من بيت رأس
على أنيابها أو طعم غصن
يكون مزاجها عسل و ماء
من التفاح هصره أجناء

فإن الغرض من هذا الشعر – على القصد الأول – تشبيه ريق هذه الموصوفة بالسبيئة ، و تخيل السبيئة فيه فعكس الأمر غلو و مبالغة¹

و كثرة المصطلحات إن دلت على شيء ، فهي تدل على أن الغلو ليس مفهوما محددا منفصلا بل يخضع لعدة عوامل لتحديد ، لعل أولها ثقافة البلاغي و البيئة الاجتماعية ، فالعادة مثلا ليست أمرا ثابتا بل دائمة التغير و كثير من النقاد يستخدم المبالغة ، الغلو و الإفراط كمفردات تحمل نفس المعنى² كما وجد من شدد على الفروق بينها حتى عند قدامة بن جعفر الذي اهتم بتحديد الغلو في نقد الشعر ، بدأ الغلو جليا بينه و بين باقي المصطلحات في جواهر الألفاظ فهو يقول في معنى الإسراف و الإغراق " أسرف فلان في فعله و غلا في دينه و أغرق في أمره و أسهب في قوله و أطنب في وصفه و أكثر و أفرط"³ لكن يمكن رصد درجات المعنى : تبدأ من الاقتصاد الذي مثل عبد القاهر الجرجاني " زيد كالأسد " أما الدرجة الثانية فهي الزيادة في الوصف و محاولة التناهي في الدعوى " إذا قال هو الأسد "⁴ ، و الدرجة الثالثة هي تجاوز كل ذلك و ادعاء المحال.

ثالثا : الغلو و الدين :

ارتبط الغلو بالدين في كثير من النواحي لكنه حمل نفس المعنى اللغوي السابق الذكر ، و لم يخرج عليه مبدئيا ففي تاج العروس " غلا في الدين غلوا تشدد و تصلب حتى تجاوز الحد ، و منه قوله تعالى : " لا تغلوا في دينكم غير الحق "⁵ ، و قال ابن الأثير : الغلو في الدين البحث عن مواطن الأشياء و الكشف عن عللها و غوامض متعبداتها "⁶ ، و كذلك المعنى في محيط المحيط⁷ ، و في التعاريف و تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية لا يخرج عن

¹ السجلّماسي : المنزع البديع ص 228 .

² علما أنها لغويا تحمل نفس المعنى ففي جمهرة اللغة لابن دريد

الغلو : " ارتفاع الشيء ومجاورة الحد فيه " جزء 3 / 150 مادة غلو .

الإسراف : " قالوا قتل فلان بني فلان فأسرف إذا جاوز في ذلك المقدار " .

الإغراق : " وأغرق في الشيء يغرق إغراقا ، إذا جاوز الحد فيه " جزء 2 ص 395 مادة غرق .

الإفراط : " وأفرطت في الأمر إفراطا ، إذا جاوز الحد فيه " جزء 2 ص 372 مادة فرط .

³ ابن جعفر قدامة: جواهر الألفاظ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ط 1 ، 1979 م ص 272 .

⁴ الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 231 .

⁵ سورة المائدة آية 177 .

⁶ الزبيدي : تاج العروس مادة غلا .

⁷ البستاني : محيط المحيط ص 665 .

عن هذا الإطار اللغوي العام : " الغلو : مجاوزة الحد بأن يزداد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق و نحو ذلك "¹

فالغلو في الدين مرتبط بتجاوز الحدود ، و بين الأستاذ عبود بن علي بن درع ملامح الغلو و صنفها بحسب متعلقه كالآتي :

1 . الغلو المتعلق بفقهاء النص ، و يكون بأحد أمرين :

أ - التفسير المتشدد للنصوص

ب- التعمق في معاني التنزيل

2 . الغلو المتعلق بالأحكام ، و يكون بأحد أمرين :

أ - إلزام النفس أو الآخرين بما لا يوجبه الله

ب- تحريم الطيبات أو ترك الضرورات

3 . الغلو المتعلق بالموقف من الآخرين حيث يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه إلى درجة العصمة و يقف من البعض الآخر موقف الذام الغالي الذي يصم مخالفه بالكفر² و هذا النوع من الغلو موضوع البحث.

و لفظ الغلو بمعنى التجاوز ورد في القرآن مرتين في سورة النساء و سورة المائدة³ المائدة³ ، قال تعالى : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و ما في الأرض و كفى بالله وكيلًا . "⁴ و تفسير الآية الكريمة في تفسير الجلالين الجلالين ، " يا أهل الكتاب (الإنجيل) لا تغلوا (تجاوزوا الحد) في دينكم و لا تقولوا على الله إلا (القول) الحق (من تنزيهه عن الشريك و الولد) إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها (أوصلها الله إلى مريم) و روح (أي ذو روح) منه (أضيف إليه تعالى تشريفا له و ليس كما زعمتم ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب و الإله منزّه عن التركيب و عن نسبة المركب إليه) فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا (الآلهة) ثلاثة (الله و عيسى و أمه) انتهوا (عن ذلك و أتوا) خيرا لكم (منه و هو و التوحيد) إنما الله إله واحد سبحانه (تنزيها له عن) أن يكون له ولد ، له ما في السموات و ما في الأرض (خلقا و ملكا و عبيدا و الملكية تنافي النبوة) و كفى بالله وكيلًا (شهيدا على ذلك) "⁵ ، و لا يختلف تفسير الآية عند القرطبي⁶ و عند الطبري¹ عن الجلالين .

¹ ابن درع عبود بن علي: ظاهرة الغلو في الدين الأسباب والمظاهر والعلاج ، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض ، المملكة العربية السعودية ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ص 59 عن اقتضاء الصراط المستقيم جزء 1 ص 289 .

² ابن درع عبود بن علي: ظاهرة الغلو في الدين ص 61 - 62 .

³ عبد الباقي محمد فواد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار ومطابع الشعب ص 504.

⁴ سورة النساء آية 171 .

⁵ المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه جزء 1 ص 93 .

⁶ القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة 1387 هـ / 1967 م مصورة عن طبعة دار الكتب جزء 6 ص 21 .

و الآية الثانية التي تنهى عن الغلو جاءت في سورة المائدة " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل. "2، و لا يختلف تفسيرها عن تفسير الآية السابقة ، فالطبري يقول " و هذا خطاب من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، يقول تعالى ذكره يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح يا أهل الكتاب يعني بالكتاب الإنجيل ؛ لا تغلوا في دينكم ، يقول : لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح ، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه و لكن قولوا هو عبد الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا ، يقول و لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه فتقولون فيه كما قالوا هو لغير رشده. "3

هذه الآيات صريحة في النص عن الغلو و ظاهرها و إن كان موجهة لأهل الكتاب في مظهر في نصوص من الغلو ، لكنها تخص المسلمين أيضا و كل مظاهر الغلو و ليس فيها يخص الأنبياء فقط مدحا و ذما خاصة و أنه ظهر في الإسلام الغلو في الرسول عليه الصلاة و السلام مشابها لغلو النصارى في المسيح عليه السلام ، فادعوا أنه الله أو أنه ابنه فكان ثالث الآلهة عندهم الله أو الابن و الأم و على النقيض من ذلك جرده اليهـود من النبوة و اتهموه كذبا و ضلالا.

كما ورد في سورتي النحل و الكهف بيان جزاء المفرطين ، ففي سورة النحل قال تعالى : " تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم و لهم عذاب أليم "4 و فسرهما القرطبي بقوله : " لا جرم أن لهم النار أي حقا لهم النار .. و قرأ نافع في رواية ورش مفرطون بكسر الراء و تخفيفها و هي قراءة عبد الله بن مسعود و ابن عباس و معناه مسرفون في الذنوب و المعصية أي أفرطوا فيها : يقال أفرط فلان على فلان أي أربى عليه "5 و ورد هذا التفسير أيضا عند الجلالين ، قال تعالى : " لا جرم (حقا) أن لهم النار و أنهم مفرطون (متروكون فيها أو مقدمون إليها ، و في قراءة بكسر الراء أي متجاوزون الحد) "6 ، فالنار في هذه الآية بحسب القراءة الثانية هي جزاء المفرطين المتجاوزين الحد.

أما الآية الواردة في سورة الكهف فيقول فيها جل و علا : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدو و العشي يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا. "7 ، في لسان العرب "

¹ الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، دار الفكر - بيروت 1405 عن القرص المضغوط مكتبة العقائد والملل ، الإصدار 1.5 - 1419 هـ / 1999 م إعداد الخطيب للتسويق والبرامج عمان - الأردن ، الإشراف العلمي التراث مركز لأبحاث الحاسب الآلي ج 6 ص 34 .

² سورة المائدة آية 77 .

³ الطبري : جامع البيان ج 6 ص 316 .

⁴ سورة النحل آية 62 .

⁵ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 121 .

⁶ تفسير الجلالين ج 1 ص 290 .

⁷ سورة الكهف آية 28 .

أمر فرط أي مجاوز فيه الحد ، و منه قوله تعالى : " و كان أمره فرطاً " ¹ و كالأية السابقة وردت عدة تفسيرات لأمر الفرط ، لكن الطبري رجح المعنى الوارد في لسان العرب " و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه ضياعاً و هلاكاً من قولهم أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً إذا أسرف فيه و تجاوز قدره " ²

ارتبط الإفراط في القرآن الكريم بالضياح و العذاب كما ارتبط الغلو قبله بالنهي ، و عدم تجاوز الحدود التي وضعها الشارع لعباده ، و من بين الآيات التي تنص على ذلك قوله تعالى : " فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطغوا إنه بما تعملون بصير . " ³ ، " و إن لمما يستحق الانتباه هنا هو أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة لم يكن نهياً عن القصور و التقصير إنما كان نهياً عن الطغيان و المجاوزة ، و ذلك أن الأمر بالاستقامة و ما يتبعه في الضمير من يقظة و تخرج قد ينتهي إلى الغلو و المبالغة التي تحول هذا الدين من يسر إلى عسر ، و الله يريد دينه كما أنزله و يريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط و لا غلو ، فالإفراط و الغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتقريط و التقصير و هي التفاتة ذات قيمة كبيرة لإمساك النفوس على الصراط بلا انحراف إلى الغلو أو الإهمال على السواء " ⁴ .

و الآيات التي تدعو إلى الاستقامة و الوسطية و عدم تجاوز الحدود صراحة كثيرة ، كما يفهم منها ضمن النهي عن الغلو و الإفراط ، قال تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين " ⁵ ، و قال : " و كذلك جعلناكم أمة وسطاً " ⁶ ، و قال أيضاً : " و تلك حدود الله فلا تعتدوها و من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون " ⁷ .

كما نهى الرسول عليه الصلاة و السلام عن الغلو ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم غداة العقبة و هو علة ناقته : " ألقط لي حصي " فلقطت له سبع حصيات هن حصي الحذف ، فجعل ينفذهن في كفه و يقول : أمثال هؤلاء فارموا " ، ثم قال : " يا أيها الناس إياكم و الغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " ⁸ ، و النهي هذا ليس عن الغلو في الرمي فقط ، بل نهى عن الغلو عموماً و لا شك أن هذا الموقف من الغلو في الدين قد أثر على النقاد و البلاغيين في مواقفهم من الغلو في الشعر

¹ ابن منظور : لسان العرب مادة فرط .

² الطبري : جامع البيان ج 5 ص 237 .

كذلك عند : القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 392 .

الجلالين : التفسير ج 2 ص 5 .

³ سورة هود آية 112 .

⁴ قطب سيد : في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط 3 / 1961 مجلد 4 جزء 18 ص 146 .

⁵ سورة الفاتحة آية 6 - 7 .

⁶ سورة البقرة آية 143 .

⁷ سورة البقرة آية 229 .

⁸ الألباني محمد ناصر الدين : صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند ، إشراف زهير الشاويش ، مكتبة التربية العربية

لدول الخليج ط 3 - 1408 هـ / 1988 م مجلد 2 ص 177 .

وجاء الحديث في صحيح سنن النسائي باختصار السند ، صحيح أحاديث محمد ناصر الدين الألباني ، إشراف زهير الشاويش ، مكتبة التربية العربية لدول الخليج ط 1 - 1408 هـ / 1988 م مجلد 2 ص 640 .

باعتبار أن عددا كبيرا منهم كانوا فقهاء أو علماء دين عموما مع الأخذ بالاعتبار أن البلاغة العربية نشأت في ظل الدراسات القرآنية و الغلو في المدح أو الذم يعتبر أحد ملامح الغلو. ينقسم الغلو في الدين إلى نوعين :

- 1 . غلو كلي اعتقادي : فهو المتعلق بباب العقائد و أمهات المسائل كادعاء العصمة للأئمة و هو السبب في ظهور الفرق.
- 2 . غلو جزئي عملي : و هو الخاص بالجزئيات محصورة في الفعل كقيام الليل كله¹.

و من مظاهر الغلو الإعتقادي : الغلو في الصحابة و الأئمة و الأولياء و ادعاء العصمة لهم أو حتى ادعاء الألوهية و خاصة الشيعة و غلوهم في علي رضي الله عنه ، " قال المصنف و كما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلت عليا بن أبي طالب حمل آخرين على الغلو في حبه فزادوا على الحد فمنهم من كان يقول هو الإله و منهم من يقول خير من الأنبياء و منهم من حمله على سب أبي بكر و عمر حتى أن بعضهم كفر أبا بكر و عمر إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة²

و انتقل تشعب الغلو فيه رضي الله عنه إلى أحفاده و من ادعى القرب منه و تشعب الشيعة فرقا كثيرة تتفاوت في درجة غلوها ، و المظهر الآخر للغلو الاعتقادي الغلو في الرسول عليه الصلاة و السلام و اختص به الصوفية الذين اعتقدوا بالحلول و ادعى بعضهم الألوهية و الحلاج مثلا يرى أن للنبي صلى الله عليه و سلم صورتين مختلفتين :

- 1 . " صورته نورا أزليا قديما كان قبل أن يوجد العالم ، و منه استمد كل علم و عرفان حيث أمد الأنبياء السابقين عليه و الأولياء اللاحقين به.

2 . ثم صورته نبيا مرسلا و كائنا محدثا تعين وجوده في مكان و زمان محددين و النبي المرسل عليه الصلاة و السلام إنما صدر في صورته عن ذلك النور الأزلي القديم " ³ ، و أكد الحلاج غير ما مرة على أسبقية وجود النبي صلى الله عليه و سلم و أنه وجد قبل الكون و هو مصدر الوحي لجميع الأنبياء و الصالحين ، فيقول : " همته سبقت الهمم و وجوده سبق العدم و اسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم " ⁴ ، و عند ربط هذا التصور بالحلول يظهر ادعائهم للألوهية جليا ، فالله جل و علا حل بالنبي صلى الله عليه و سلم و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الأنبياء و الأولياء من بعدهم لينتهي الأمر إلى الحلاج⁵ و من نافلة القول هنا تبيان كفر هذا الإعتقاد و براءة الرسول صلى الله عليه و سلم منه و كذلك الإسلام فالله سبحانه و تعالى هو المختص وحده بالألوهية و الخلق و أسبقية وجوده و ديمومته وحده حيث قال تعالى: " كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام

611

¹ ابن درع عبود بن علي: ظاهرة الغلو في الدين 47 - 54 .

² أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: تلبيس إبليس ، دار الكتاب العربي - بيروت 1405 هـ / 1985 م ط 1 تحقيق السيد الجميلي عن القرص المظغوط العقائد والملل ج 1 ص 118 .

³ ابن درع: ظاهرة الغلو في الدين :ص 265

⁴ نفسه: ص 266

⁵ نفسه: ص 261-267

⁶ سورة الرحمن آية 26-27

و قوله : " ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض و لا خلق أنفسهم و ما كنت متخذ المضلين عضدا " ¹ ، و قوله أيضا مؤكدا عبودية الرسول صلى الله عليه و سلم : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي " ² و أيضا : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " ³ و كذلك قوله : " ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون " ⁴ كما أكد الرسول صلى الله عليه و سلم عبوديته المطلقة لله و براءته من ادعاءات الغلو فقال : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله " و قال أيضا عليه الصلاة و السلام لرجل قال له : " ما شاء الله و شئت " ؛ " أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده " ⁵ ، كما غلا بعض الشعراء في شخص النبي صلى الله عليه و سلم عند مدحه و أضافوا إليه من صفات أو أسماء المولى عز و جل أو ادعاء الحلول أو الألوهية ، بل جاء ذلك على سبيل المدح و التضرع و طلب القرب و الشفاعة في الآخرة ، قال البوصيري في البردة :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
و لن يضيق رسول الله جاهك بي
فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدا
إذ لم يكن في معادي أخذا بيدي
سواك عند حلول الحوادث الهمم
إن الكريم تجلى باسم منتقم
و هو أوفى الخلق بالذمم
فضلا و إلا فقل يا زلة القدم ⁶

جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم ملاذه الوحيد عند الشدائد و هذا خاص بالله وحده فهو ملاذ العباد في السراء و الضراء ثم تضرع له و أظهر الحاجة و طلب الشفاعة و نسي أنها فضل من الله و لا تكون إلا برضاه و بإذنه و لا يكفي جاه الشافع و لا مكانته ، أما الذمة التي ادعها بينه و بين الرسول صلى الله عليه و سلم لمجرد الاشتراك في الاسم فلم يرد لها ذكر في القرآن أو السنة ، و أنكر ابن تيمية على الشيخ الصرصري : ما يقول في قصائده من مدح الرسول من الإستعانة به مثل قوله : بك استدعيت وأستعين وأستجد ونحو ذلك ⁷ .

كما أنكره شارح كتاب التوحيد : " عصوه في نهيه الغلو فيه و إطرانه كما أطرت النصارى ابن مريم و صار حظهم منهم صلى الله عليه و سلم هو مدحه بالأشعار و القصائد و الغلو الزائد مع عصيانهم له في أمره و نهيه ، فنجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلى الله عليه و سلم " ⁸ .

¹ سورة الكهف آية 51

² سورة الكهف آية 110

³ سورة الإسراء آية 110 .

⁴ سورة الإسراء آية 1 .

⁵ ابن قاسم عبد الرحمان بن محمد العاصمي النجدي : مجموع فتاوى شيخ الإسلام محمد بن تيمية مطابع الرياض ط 1

1381 هـ ج 1 ص 65 - 66 .

⁶ النجدي عبد الرحمان : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ج 1 ص 66 .

⁷ ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، مكتبة الرياض الحديثة ص 187 الرياض من القرص المضغوط العقائد والملل.

⁸ النجدي عبد الرحمان : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ج 1 ص 70 .

الخاتمة

حاول البحث أن يدرس ظاهرة الغلو عند ثلاثة الشعراء ، و لم يكن الاختيار اعتباطيا ، بل هم الشعراء الذين أكد غير واحد من النقاد أنهم أكثر من لجأ إلى الغلو. وكان الأمر دائما ينحصر في أربعة هم : أبو نواس الحسن بن هانئ ، أبو الطيب المتنبي ، ابن هانئ الأندلسي و أخيرا أبو العلاء المعري. لكن البحث لم يتعرض للمعري بل اكتفى بالثلاثة الأوائل.

والسؤال الكبير الذي حاول البحث الرد عليه هو : لماذا أكثر هؤلاء الشعراء بالذات من الغلو ؟ فلا بد من وجود أسباب خاصة بكل واحد منهم حتى يلجأ إلى هذا الأسلوب. و قبل الوصول إلى هذا الجانب من البحث ، كان لابد من التعرف على الغلو و الجدل الذي ثار حوله ، فبدأ البحث بمدخل عام عرف فيه بالغلو لغة مستعينا بعدد من أمهات المعاجم ، فكان المعنى لا يخرج عن التجاوز في كل منها ؛ و كذلك كان الحال بالنسبة للمعنى الاصطلاحي ، فالغلو كان دائما تجاوز الحد و المقدار ، كما استعان البحث بتعاريف أهم النقاد القدامى من الذين تركوا بصماتهم في تاريخ النقد العربي. و أثناء عرض هذه التعاريف ، برزت ظاهرة تعدد المصطلحات ، فالغلو لم يكن المصطلح الوحيد الذي تردد بل استعملوا مفردات أخرى كالمبالغة ، الإفراط ، الإحالة ، التبليغ ، الإغراق ، و كان لزاما علي البحث في معانيها و ربطها بالمصطلح الأساسي ، موضوع البحث الذي استعان هذه المرة أيضا بأراء بعض النقاد مع مخططات توضح العلاقة بينها. كما تعرض المدخل للعلاقة بين الدين و الغلو ، فالغلو دينيا اتخذ مظهرين عملي و اعتقادي ؛ الأوّل خاص بالعبادات أما الثاني فمرتبط بموضوع البحث و تمثل خصوصا في فرقتين : الشيعة التي غالت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و المتصوفة التي غالت في رسول الله عليه الصلاة و السلام. فكل من الفرقتين نسبت إليهما من الصفات ما يتجاوزهما أو ما هو خاص بالله جلّ و علا كالعشق من النار... كان الفصل الأول تمهيدا تعرض البحث فيه لمواقف النقاد من الغلو ، فاستخلص أنهم لا يخرجون عن ثلاث فئات :

فئة ساندت الغلو مطلقا و رأته قمة الإبداع الشعري ، فالشعر في نظرها لا يخضع لا للمنطق ولا للدين و لا للواقع المعاش ، فالشاعر حر في إبداعه و لا رقابة على خياله، حتى أن الشاعر في نظرها غير مطالب بأن يكون صادقا ، فالصدق مطلوب من الأنبياء لا من الشعراء، و كان رائد هذه الفئة الناقد قدامة بن جعفر ، كما ضمت عددا لا يستهان به من النقاد كإسحاق بن وهب و حازم القرطاجني ، و الخليل ابن أحمد الفراهيدي ... و أكثرهم من النقاد الذين تأثروا بالفكر اليوناني. و الفئة الثانية ضمت النقاد الذين عارضوا الغلو مطلقا و تمسكوا بمقولة (أحسن الشعر أصدق) فالكذب مرفوض مطلقا دينيا و اجتماعيا ، و الغلو يعد نوعا من الكذب و التهويل. و من النقاد الذين سلكوا هذا السبيل الجاحظ ، المرزباني ، الثعالبي ...

أما الفئة الثالثة و الأخيرة فقد ضمت صنفين من النقاد ، الأول خاص بنقاد اتسموا بالاعتدال فلم يساندوا الغلو مطلقا و لم يذموه بكل درجاته ، بل قبلوا ما وصل إلى حد معين و رفضوا الباقي ، و هنا طرحت قضية الحد نفسها مجددا فما هو هذا الحد الذي يجب أن يقف الغلو عنده ؟- فالتمسك بمقولة (القبول عقلا و عادة) لا يحل المشكلة فهي مقولة فضفاضة غير ثابتة. و الصنف الثاني ضم نقادا لم يكن لهم موقف محدد ؛ فهم تارة يمدحون أبياتا اتسمت بالإفراط و تارة أخرى يذمون أبياتا تحمل نفس الملامح.

أما الفصل الثاني فقد كان خاصا بالدراسة البلاغية للغلو باعتباره محسنا بديعيا من البديع المعنوي و كانت البداية مع سبب انتشار الغلو في العصر العباسي خاصة ، هذا العصر الذي شهد تغيرا جذريا في الحياة العربية عامة و الأدبية خاصة ، فالغلو كان موجودا في العصر الجاهلي لكن كصور متفرقة عند بعض الشعراء ولم يتحوّل إلى ظاهرة. وقد حاولت حصر الأسباب فكانت لا تخرج عن كونها إما حضارية أو نقدية :

شملت الأولى ؛ التغيير المادي ، فبعد أن كان العربي يسكن خيمة وسط الصحراء ، أصبح يسكن القصور المحاطة بالحدائق ، كما تغيرت طريقة المأكل و الملبس ، و انتشر الرقيق خاصة ، و انتشرت معهم ثقافتهم و فنونهم و آدابهم و أصبح الشاعر يتمتع بحرية أكبر كما فقد مكانته الاجتماعية فلم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، بل تحوّل أحيانا إلى مجرد مسل للحاكم يمدحه و يرضي غروره.

أما الأسباب النقدية فقد شملت كل ما طرأ على النقد العربي من تغيير بفعل التأثير بالنقد اليوناني خاصة و الدراسات القرآنية ، فالناقد القديم لم يكن يسمح بأيّ تغيير في اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن المقدسة كما أنّ لجوء الشعراء إلى الغلو كان نوعا من الثورة و التجديد.

ونظرا للأثر الهام الذي لعبه الفكر الأرسطي في النقد العربي كان لا بد من الوقوف قليلا عنده وخصوصا عند كتابه في الشعر ، الذي رغم ترجمته السيئة إلا أن ذلك لم يحل دون وصول تأثيره في النقد العربي ؛ فقدامة بن جعفر قد لمح بذلك عندما نسب رأيه في الغلو إلى الفلاسفة اليونان ، في حين أن معاصره إسحاق بن وهب قد صرح أن الغلو هو رأي أرسطو ، فهو لا يرى حرجا في المبالغة ، بل أكثر من ذلك يظن أنها ضرورية أحيانا وفي أنواع معينة من الشعر.

وكان ختام هذا الفصل الوقوف عند جماليات الغلو ، فرغم كل ما ينسب إليه من تهويل و كذب ، إلا أنه يبقى أسلوبا يمنح الصورة الشعرية جمالا و إثارة ، ويبعدها عن الروتين ، حتى أنه في بعض الأحيان يكون ضروريا و إلا خرجت الصور ميتة لا روح فيها.

وأما الفصل الثالث و الأخير ، فقد كان خاصا بمنطلقات الغلو النفسية عند الشعراء ، وكانت البداية بأبي نواس الذي عاش حياة خاصة فهو قد وجد في عصر العصبية والفخر بالأنساب لكنه كان مجهول الأب ، وأمه اشتهرت بسلوكها السيئ ، وكان يعير بها ويخجل بها ، لكنها في الأخير تركته وحيدا ، فعاش وسط عصبة من المجان ، كل حياتهم السكر واللهو كما أنه كان نرجسيا ، وهذا ما جعله مغاليا في كل شيء إذا وصف الخمر فهي ليست الخمر العادية التي وصفها كل الشعراء ، بل هي خمر خاصة ، حضرت بطريقة خاصة يشربها من يستحقها فقط ، وإذا مدح لم يكن ممدوحه عاديا بل هو من نوع خاص تخافه

النطف التي لم تخلق ، وإذا تعزل ، فلا يهم إن كان المتعزل به مؤثنا أو مذكرا فالصفات ذاتها للجنسين.

أما الشاعر الثاني الذي توقف عنده البحث فكان المتنبي ، الذي تميز بشخصية قوية طموحة ، عانت هي الأخرى من عقدة النسب ، لكن ردة فعلها لم تكن اللجوء إلى الخمر كأبي نواس ، بل على العكس من ذلك ، نادم الملوك لينال ولاية. فبدأ بسيف الدولة الحمداني ، لكنه لم ينل مراده منه ، وكان الملك الوحيد الذي أحبه حقا ومدحه عن إعجاب ، ثم اتجه بعده إلى كافور الإخشيدي، لكنه هو الآخر خذله ، فانقلب مدحه هجاء وكان في معظم هذا الشعر مبالغا ، بالغ في المدح كما بالغ في الفخر بنفسه ، واعتبرها فوق جميع البشر ، وكان يرى نفسه دائما ندا للملوك لا مجرد تابع وكل هذا انعكس على شعره.

أما الشاعر الأخير الذي وقف عنده البحث فهو ابن هانئ الأندلسي ، الذي كرس معظم شعره لمدح المعز لدين الله الفاطمي ، وكان ابن هانئ شيعيا ، مدافعا عن أمير شيعي ، فكان لا بد أن يغالي في شعره ، لأن مذهبه يفرض عليه الإيمان بمعتقدات خاصة. فالإمام عند الشيعة معصوم من الخطأ ، جمع علم الأنبياء والرسل قبله وتجمع كل ذلك في شخصه وهو ظل الله في الأرض تجب طاعته المطلقة كما أنه فوق كل البشر ، فحين مدح ابن هانئ حسب معتقدات مذهبه لم يكن مغاليا أو كافرا ، بل إنه كان يتبع تعاليم مذهبه ، ويمدح بما يعتقد حقا ، فالإسماعيلية مثلا ، لا يخلصون الله تعالى بأسمائه الحسنى ، بل هي خاصة بالإمام. فابن هانئ عندما نسبها للمعز كان يتبع معتقدات راسخة و لم يكن - حسب مذهبه الديني- لا مغاليا و لا كافرا.

و أخيرا أرجو أن أكون قد سلطت بعض الضوء على هذه الظاهرة ، من خلال هؤلاء الشعراء الذين مثلوا أبرز أعلامها ، و إن كنت قد وفقت إلى شيء من هذا فبفضل من الله و عزه ، وإن لم أوفق فببقتصير مني ، ولا عجب أن لا تصل باحثة مبتدئة مثلي إلى أهدافها منذ المحاولة الأولى ، وأرجو أن أدرك في المحاولة المقبلة إن شاء الله ، و بالله التوفيق.

الفصل الأول

الموقف النقدي من الغلو

1 . نقاد مع الغلو

2 . نقاد ضد الغلو

3 . نقاد الاعتدال أو اللاموقف

أثار الغلو جدلاً واسعاً بين النقاد و البلاغيين العرب القدامى ، هل يعد من محاسن الكلام أم أنه مجرد تهويل يلجأ إليه الشاعر إذا خانت شاعريته؟ و لم يحسم الخلاف ، بل ظل مفتوحاً للآراء المختلفة أحياناً و المتفقة أحياناً أخرى و غير المحسومة كثيراً. وقد صنف بدر الدين محمد الزركشي دراسي المبالغة في ثلاث خانات حسب مواقفهم:

- * أحدها : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة .
 - * و الثاني : أنها الغاية في الحسن و أعذب الكلام ما بولغ فيه
 - * و الثالث : و هو الأصح ، أنها من محاسن الكلام ، و لا ينحصر الحسن فيها فإن فضيلة الصدق لا تتكر و لو كانت معيبة لم ترد في كلام الله تعالى¹.
- لكن المواقف لم تكن دائماً بمثل هذا الوضوح فأحياناً يكون للنقاد الواحد موقفاً على طرفي النقيض ، و أحياناً أخرى يكون الموقف مائعاً غير محدد و لذلك تم تقسيم النقاد إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى: و هي المساندة للغلو بكل وضوح.

الفئة الثانية : و هي الرفض له تماماً .

أما الفئة الثالثة و الأخيرة فهي تجمع بين النقاد الذين يملكون مواقف متناقضة أو غير محددة و الشراح و الملخصين الذين رددوا عبارات منقولة متطابقة.

و البداية ستكون مع النقاد القابلين للغلو.

أولاً : نقاد مع الغلو

استحسن العديد من النقاد و الأدباء المبالغة وعدوها جوهر الشعر ، و أول تصريح بذلك يعود للعصر الجاهلي ، فالحادثة المعروفة بين النابغة الذبياني و حسان بن ثابت الأنصاري ، و النابغة هو القائل : " أشعر الناس من استجيد كذبه و ضحك من رديئه " ² ، و كان الأساس لظهور اتجاه " أحسن الشعر أكذبه " .

و بعد النابغة يؤكد الخليل (170 هـ) نفس الموقف بتفصيل أكثر و دعم أكبر للشعراء فهم " أمراء الكلام يصرفونه إني شاءوا ، و يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من أخلاق المعنى و تغييره و من تصريف اللفظ و تعقيده و مد المقصور و قصر الممدود و الجمع بين لفاته و التفريق بين صفاته و استخراج ما كلت الألسن عن وصفه و نعتة و الأذهان عن فهمه و إيضاحه فيقربون البعيد و يبعدون القريب ، و يحتج بهم و لا يحتج عليهم و

¹ الزركشي، محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت ط2 دون تاريخ، المجلد 3 ص 55

² ابن رشيقي: العمدة ص281

يصورون الباطل في صورة الحق و الحق في صورة الباطل¹ و هو من المواقف النادرة التي لا تضع حدا للشعراء بل تفتح أمامهم كل الأبواب و ترفعه إلى منزلة الأنبياء ، فلا يجوز أبدا محاسبته سواء من الناحية اللغوية كمد المقصور و قصر الممدود و هو ما اصطلح على تسميته بالجوازات الشعرية أو من ناحية المعنى على شرط أن يكون من المعاني المستعصية " ما كلت الألسن عن وصفه و نعتة و الأذهان عن فهمه و إيضاحه " ، ففي سبيل الوصول إليهم يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره " فتقريب البعيد و إبعاد القريب و تصوير الحق في صورة الباطل و الباطل في صورة الحق " من صور الغلو المقبول عند الخليل و لا حجة على الشعر عنده بل يحتج بهم.

و لابن قتيبة رأي قريب من رأي الخليل فقد أجاز المبالغة إلى حد ما ، و إن لم يكن دائما متساهلا مع الشعراء كالخليل فللمبالغة عنده حدود ، فيفترض إظهار كاد أو إضمارها لتقريب الصورة من الواقع ، حتى لا يصبح الإفراط صورة وهمية لا علاقة لها بالفكرة الأساسية ، ففي قوله تعالى : " و ما بكت عليهم السماء و الأرض و ما كانوا منظرين " ² ، و هذه الصورة معروفة في سنن العرب إذ أرادوا تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن : أظلمت الشمس له و كسف القمر لفقده و بكته الريح و البرق و السماء ، و ذلك لغرض " المبالغة " في وصف المهيبة به ، و أنها قد شملت و عمت و ليس ذلك بكذب لأنهم جميعا متواطئون عليه و السامع له يعرف مذهب القائل فيه³ ، فبكاء السماء و الريح و البرق أمر مستحيل في الواقع لكنه في القول مقبول باعتباره ضربا من المبالغة في الوصف المتعارف عليها بين العرب ، غير أن بعض اللغويين يعتبرون مثل هذه الصور المبالغة إفراطا و تجاوزا للمقدار ، لكن ابن قتيبة لا يوافق الرأي فيقول : " و كان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء في هذا الفن و ينسبها إلى الإفراط و تجاوز المقدار ، و ما أرى هذا إلا جائزا على ما بيناه من مذاهبهم ، كقول النابغة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه و توقد بالصفاح نار الحباب⁴

كان إسحاق بن وهب أشد النقاد حماسا في قبول الغلو فلم يضع له حدا يقف عنده حين قال للشاعر أن يقتصد في الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، و له أن يبالغ و له أن يسرف حتى يناسب قوله المحال و يضاهيه و لا يستحسن السرف أو الكذب و الإحالة في شيء من القول إلا في الشعر⁵ و هذا موقف فريد منه ، فما من ناقد استحسن المحال و الإسراف صراحة و دون تحرز مثله ، رغم ارتباطه بالقرآن و الفقه في كتابه البرهان في وجوه البيان⁶. استشهد ابن وهب الإقتصاد في المعنى أي الدرجة الممكنة ، قربة الوقوع بقول عنتر بن شداد :

¹ القرطاجني حازم: منهاج البلغاء و سراج الأبناء تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1964 ص 143- 144

² سورة الدخان آية 29

³ ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص 127

⁴ نفسه: ص 127

⁵ بدوي ، أحمد أحمد: أسس النقد الأدبي عند العرب مكتبة نهضة مصر الفجالة ط 3 ، 1964 ص 442

⁶ طبانة، بدوي: البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب و مناهجها و مصادرها الكبرى، مكتبة الأنجلومصرية القاهرة، ط 6 ، 1396 هـ/ 1976 م ص 118

يخبرك من شهيد الوقعة أنني أخشى الوغى و أعف عند المغنم
 كما استشهد للمبالغة التي تقدم المعنى بصورة ممكنة لكنها بعيدة الوقوع بقول الشاعر :
 بطعنهم ما ارتموا ، حتى إذا طعنوا ضارب ، حتى إذا ضربوا اعتنقا
 فهو مثال الشجاعة و البسالة و التفوق القتالي¹ و ختم درجات المعنى بالإسراف الذي هو
 تصوير المعنى بصورة مستحيلة الوقوع ، فقال : " و مما أسرف فيه الشاعر حتى أخرجه
 إلى الكذب و المحال ، و هو مستحسن قول أبي نواس :

تغطيت من دهري بظل حنانه فعيني ترى دهري و ليس يراني
 فلو تسأل الأيام عني ما درت و أين مكاني ما عرفن مكاني
 كان قدامة بن جعفر معاصرا لابن وهب و رأيته في الغلو مقارب له كذلك حيث كان
 جريئاً في قبوله لكن قبوله أكثر وضوحاً و تفصيلاً في موقفه ، فالبدائية كانت بتوضيح
 الاختلاف الذي وقع فيه باقي النقاد بين الغلو في المعنى أو الاقتصار على الحد الأوسط دون
 أن تكون الأسباب أو الحجج واضحة لهم " و أكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع
 إليه و يتمسك به ، و لا من اعتقاد خصمه ما يدفعه و يكون أبداً مضاداً له ، لكنهم يخبطون
 في ظلماء ، فمرة يعمد الفريقان إلى ما كان من جنس قول خصمه فيعتقدده و مرة يعمد إلى
 ما جانس قوله في نفسه فيدفعه و يعتقد نقضه² و يدعم رأيه بشواهد شعرية ، فبعض النقاد
 يرى أن قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور
 خطأ من أجل أنه كان بين موضع الموقعة و بين حجر مسافة بعيدة جداً ، و كذلك رأيهم في
 قول النمر بن تولب :
 أبقي الحوادث و الأيام من نمر أسبـاد سيف قديم أثره باد
 تظل تحفر عنده إن ضربت به بعد الذراعين و الساقين و الهادي
 و قول أبي نواس :

و أخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق
 و هم إذ يرفضون هذه الأبيات لما تضمنته من كذب و غلو ، ثم يعجبون بنقد النابغة
 الذبياني لببيت حسان بن ثابت :
 لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي و أسيافنا من نجدة يقطرن دما
 انتقد النابغة حساناً عندما قال : الغر ، الضحي و يقطرن و طالبه باستبدالها ب : البيض ،
 الدجى و يجرين³.

و يسترسل قدامة في شرح ما أخذه على هؤلاء النقاد : " فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا
 أن هذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير المذهب الذين كانوا معتقدين له من الإنكار
 على مهلهل و النمر و أبي نواس لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر الغلو ، و الثاني لمن
 استجاده ، فإن النابغة — على ما حكى عنه — لم يرد من حسان إلا الإفراط و الغلو بتصويره
 مكان كل معنى وضعه ماهو فوقه و زائد عليه⁴ ، فهم لا يدركون حقيقة الغلو كما يدركها

¹ سلام، محمد زغلول : أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف - مصر ط 3 / 1968 ص 132 .

² ابن جعفر ، قدامة : نقد الشعر ص 58 .

³ ابن جعفر ، قدامة : نقد الشعر ص 58-61 .

⁴ نفسه : ص 61 .

قدامة و أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما حين قالوا : أحسن الشعر أكذبه ، و هو رأي فلاسفة اليونان و مذهب قدامة الذي يخطئ من خلافه و أنكر على مهلهل و النمر و أبي نواس قولهم السابق ، و غيرهم ممن ذهب إلى الغلو إنما أرادوا به المبالغة و كل فريق إذا أتى من المبالغة و الغلو بما يخرج عن الوجود ، و يدخل في بال المعدوم ، فإنما يريد به المثل و بلوغ النهاية في النعت و هذا أحسن من المذهب الآخر فإن قول النابغة الجعدي في معنى قول النمر على مذهب الإقتصاد و لزوم الحد الأوسط :

و قد أبقت صروف الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني
دون قول النمر ، لأن في قول النمر دليلا قريبا على أن ما بقي منه أكثر مما بقي من النابغة.

و كذلك قول كعب بن مالك الأنصاري في معنى قول مهلهل و وصفه صوت الضرب :

من سرّه ضرب يرعبل بعضه بعضا كمعمعة الأباء المحرق

دون قول مهلهل مما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد و أبلغ.

و كذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس :

يغضي حياء و يغضي من مهابته فما يكلم إلا حيين يبتسم

دون قول أبي نواس ، لأن هذا و إن كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته ، فإن قول أبي نواس دليل على عموم المهابة و رسوخه في قلب الشاهد و الغائب¹ ، فقدامة هنا يوضح بشكل عملي ما شرحه نظريا ، في جوهر الشعر بلوغ الغاية و المثل ، لا مجرد إيصال المعنى للمستمع ، هذا الدفاع المستميت من قبل قدامة عن الغلو دفع إحسان عباس للتساؤل : " أليس لهذا الغلو حد يقف عنده ، أو بعبارة أخرى هل يبلغ الغلو مرحلة لا يكون فيها مقبولا² ؟ و يجيب قدامة على ذلك برصد عيب من عيوب المعاني " إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه و يمكن كونه³ . و يستشهد بقول أبي نواس :

يا أمين الله عش أبدا دم على الأيام و الزمن

" فليس يخلو على هذا الشاعر من أن يكون تفاؤلا لهذا الممدوح بقوله عش أبدا ، أو دعا له و كا الأمرين مستقبح لا يجوز⁴ " ، وينفي عن البيت صفة الغلو و الإفراط بل هو خروج عن حد الغلو لسبب بسيط هو أنه ليس في طباع الإنسان أن يعيش أبدا و لا مكان لبكاء في البيت حتى لا سبيل للدعاء ، فلا بد من وجود موضع لـ " كاد " ، " ليعتبر البيت غلوا مقبولا⁵ " ، و أظهر التناقض الذي وقع فيه قدامة ، حين قبل بيت أبي نواس الأول و رفض الثاني ، فليس في طباع النطف أن تخاف و فسر الدكتور مصطفى الجوزو الأمر على أن " الفرق بين الغلو و الخروج عنه هو الفرق بين الخبر و الإنشاء فالجمل الخبرية تدخل عليها كاد فهي مستساغة و لو خرجت عن طباع الشيء كما في قول أبي

¹ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 61 - 62 .

² اعباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الثقافة - بيروت ط 5 - 1406 هـ / 1986 م ص 199 .

³ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 213 .

⁴ نفسه: ص 213 .

⁵ نفسه: ص 214 .

نواس الأول ، و الجمل الإنشائية لا تقبل كاد فهي غير مستساغة إطلاقا ، بالتأكيد أن قدامة لا يقصد ذلك لكن الآلية التبسيطية أدته إلى هذا المعنى و أوقعته في التناقض ¹.

جمع المرزباني في موشحه آراء عدة بعضها تقف مع الغلو ، و بعضها ضده ، لكنه يذهب مذهب قدامة في المبالغة عند مقارنة مدح الأعشى بمدح كثير عزة ، فيقول : " ... أنشد كثير عبد الملك مدحته التي يقول فيها :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة
يؤود ضعيف القوم حمل فتيرها
و يستضلع القوم الأشم احتـمالها
فقال له عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معدى كرب أحب إلي من قولك إذ تقول : و قال
ابن أبي خيثمة في حديثه : ألا قلت كما قال الأعشى :

و إذا تجيء كتيبـة ملمومة
خرساء يخشى النائدون نهالها
كنت المقدم غير لا بس جنه
بالسيف تضرب معلما أبطالها
فقال : يا أمير المؤمنين ، وصف الأعشى صاحبه بالطيش و الفرق و التغيرير و وصفتك
بالحزم و العزم ، فأرضاه.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني -رحمه الله- : رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ، لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، و الأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديدا بغير جنة ، على أنه و إن كان ليس الجنة أولى بالحزم و أحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه لأن الصواب له و لا لغيره إلا لبس الجنة، و قول كثير يقصر عن الوصف ².

وعندما شرح أبو الفتح عثمان بن جني بيت المتنبي :
فتى يملأ الأفعال رأيا و حكمة
و بادرة أحيان يرضى و بغضب
رأى أن الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة ³ ، فالمبالغة عنده ليست عيبا و هو يؤيدها.
وضع أحمد بن فارس معادلة فريدة في تاريخ النقد عند العرب ، فالشعر عنده مرادف للغلو و الكذب و الإفراط. فالإنسان لا يسمى شاعرا " لو عمل كلاما مستقيما موزونا يتحرى فيه الصدق من غير أن يفرط أو يتعدى أو يمين أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها بته لما سماه الناس شاعرا و لكان ما بقوله مخسولا ساقطا ⁴. فالغلو من دعائم الشعر و أكثر من ذلك ينتسب قولاً لأحد العقلاء مفاده أن الشعر " إن هزل أضحك و إن جد كذب " ⁵ ، و الغلو أيضا دليل على المهارة و الإبداع فالعرب تفرط في صفة الشيء مجاوزة للقدر اقتدارا على الكلام ⁶ و يطعم مواقفه بشواهد شعرية ، قال الشاعر :

¹ مصطفى الجوزو : نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) دار الطليعة للطباعة والنشر ط 1 - 1402 هـ / 1981 م ص 156 .

² المرزباني: الموشح ص230-232.

³ ابن رشيق :العمدة ص392-393

⁴ ابن فارس أحمد: الصحاح في اللغة العربية ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف - بيروت الطبعة 1 سنة 1993 ص 266 .

⁵ نفسه: ص 266 .

⁶ نفسه: ص 260 .

بخيل تظل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

و قول آخر :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و خشعت الجبال¹
أثبت العسكري وقوع الغلو في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : " و بلغت القلوب الحناجر " ² و هذا كاف للدلالة على أن العسكري لا يعارض الغلو و يقبله في الشعر و يذكر أمثلة به من القديم و الحديث ، و بدأها بامرئ القيس في قوله :
من القاصرات الطرف لو دب محول من الدر فوق الإتب منــــــــــــــــها
لأثرا³

ثم بالبحثري مادحا :

و لو أن مشتاقا تكلف غير ما في وسعه لسعى إليك المنبر⁴
و هذا الرأي منه يوافق مفهومه للبلاغة " كشف ما غمض عن الحق و تصوير الحق في صورة الباطل " ⁵ ، و يذكر د. رجاء عيد تعليقا للعسكري على هذا المفهوم " و الذي قاله أمر صحيح لا يخفي موضع الصواب فيه على أحد من أهل التعبير و التحصيل ، و ذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادي على نفسه بالصحة و يحوج إلى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه صحيحا ، و إنما الشأن في تحسين ما ليس يحسن و تصحيح ما ليس بصحيح بضرب من الاختلال و التحليل ، و نوع من العلل والمعاريض (المعاريض التورية بالشيء على الشيء) ، و المعايير ليخفي موضع الإشارة و يغمض موضع التقصير ... فأعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرج في موضع محمود ، و للمحمود حتى يصير في صورة المذموم " ⁶ ولكن هذا القول ليس مطلقا فهو يربطه بورود شرط ما أو كاد و ما يجري مجراها و إذا خرج المبالغ إلى المحال أو شاب غلوه الاستعارة و قبيح العبارة كان عيبا⁷ كقول المتنبي :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنا
" سئل عما فيه الأفلاك والدنا ، فقال : علم الله ، و نيته لا تدل عليه ، فأفرط عمى و جمع دنيا على قول أهل الأدوار و النسب " ⁸
ليس للباقلاني موقف صريح من الغلو لكنه يضم آيتين شريفتين لأبيات فيها الغلو مما يدل على أن الغلو في حد ذاته ليس مذموما ، فإلى جانب بيت النابغة المتكرر عن السيوف يقول الباقلاني : " و من هذا الجنس في القرآن : " يوم يقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد " ⁹ و قوله : " تكاد تميز من الغيظ " ¹⁰ ، ¹

¹ ابن فارس : الصحاح في فقه اللغة العربية ص 261 .

² سورة الأحزاب آية 10 .

³ إمرؤ القيس: الديوان ،شرح عبد الرحمان المصطاوي،دار المعرفة بيروت ،دون تاريخ ص97 .

⁴ العسكري : كتاب الصناعتين ص 363 .

⁵ عيد رجاء : فلسفة البلاغة ص 15 .

⁶ نفسه: ص 15 .

⁷ العسكري : كتاب الصناعتين ص 363 .

⁸ نفسه: ص 364 .

⁹ سورة ق آية 30 .

¹⁰ سورة الملك آية 8 .

كذلك الأمر بالنسبة للقاضي عبد الجبار فهو يؤكد وجود المبالغة في القرآن الكريم كقوله تعالى : " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك " ² و جواب القاضي على سؤال : " كيف ينتقل العرش كل هذه المسافة في هذا الوقت ؟ " . إن سرعة الحركة و التحريك لا يعلم منتهى حده فلا سريع إلا يجوز أسرع منه فلا يمنع صحة ذلك إذا كان الله تعالى مقويا عليه ، و معنى : " قبل أن يرتد إليك طرفك " المبالغة في الإسراع لأن ذلك قد يقال في الأمر السريع شديد السرعة ³ و هذا الأسلوب لا يخرج عن سنن العرب في التعبير كما لاحظ ذلك ابن قتيبة سابقا و أكدّه الدكتور عبد الفتاح لاشين في دراسة لبلاغة القاضي عبد الجبار " فنحن نرى أن للقاضي عبد الجبار رأي في تلك الآيات الكريمة: أن المراد بالعموم المبالغة و التكثرير و ليس المراد ظاهرها ، و قد جرى هذا الأسلوب عن طريقة العرب و مذهبهم في التكثرير و المبالغة " ⁴.

وكان للشريف المرتضى (ت 426 هـ) رأي يفتح للشاعر كل الأبواب فلا حدود عنده للغة الشعرية و المبالغة من أهم دعائمها ، فالشاعر عنده " لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق و التحديد ، فإن ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه ، و كلام القوم مبني على التجوز و التوسع و الإشارات الخفية و الإيماء على المعاني تارة من بعد و أخرى من قرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة و أصحاب المنطق ، و إنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم و يفهم أغراضهم ... و من شأن العرب أن تجري على الشيء الوصف الذي قد كان يستحقه و قرب منه القرب الشديد فيقولون قتل فلان هوى فلانة ، و دله عقله ، و أزال تمييزه ، و أخرج نفسه ، كل ذلك لم يقع و إنما أرادوا المبالغة " ⁵ ، فالشعر عنده غير النثر ، مختلفان في الأسلوب و الغاية معا فالتحقيق و التدقيق إن وجد في الشعر بطل جميعه " لسبب بسيط فهو لا يخاطب الفلاسفة و أصحاب المنطق و إنما يخاطب قوما مصطلحون على جواز التوسع و المبالغة فإذا قال الشاعر مغاليا :

من رأى مثل حبتي تشبه البدر إذا بدا
تدخل اليوم ثم تد خل أردافها غدا

أو كما قال آخر :

تمشي فتثقلها روادفها فكأنما تمشي إلى خلف

فالتأكيد أن أيا منهما لا يقصد المعنى الحرفي لصورته ، فلو قسيت أيا منهما بالواقع الخارجي لأدى ذلك إلى الاستهجان و الاستغراب لكنهما شعريا تمثلان الجمال المثالي عند العرب الذين اعتادوا " أن يستعملوا مثل هذا فيشبهن الكفل بالكثير و بالدعص و بالتل و يشبهون الخصر بوسط الزنبور ، و بمدار حلقة الخاتم ، و يعدون هذا غاية المدح و أحسن الوصف ، و نحن نعلم أن لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور و كفه كالكتيب العظيم لاستبعدناه و استهجننا صورته لنكارتها و قبحها و إنما أتوا بالفاظ المبالغة صنعة و تأنقا لا لتحمل على ظواهرها تحديدا أو تدقيقا ، بل ليفهم منها الغاية المحمودة و النهاية المستحسنة

¹ الباقلائي : إعجاز القرآن ص 102 - 103 .

² سورة النمل آية 40 .

³ لاشين عبد الفتاح : أثر القرآن في بلاغة القاضي عبد الجبار ص 412 .

⁴ نفسه:ص413

⁵ المرتضى الشريف : أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة 1954 ج 2 ص 95 - 96 .

"¹ و هذه هي صيغة الشعر الجميل ، فكل ما هو غير معقول أو مرفوض في الواقع حوله بلغتته و صورته إلى جمال و حسن.

لم يكن لابن منقذ موقف محدد من المبالغة في الباب الذي أفرد لها في بديعه لكنه أفرد بابا آخر لزم التفريط فتكون النتيجة المنطقية لهذا أنه لا يرفض المبالغة ، فالتفريط عنده : " أن يقدم الشاعر على شيء فيأتي بدونه فيكون تفريطا منه إذ لم يكمل اللفظ أو يبالغ في المعنى "² ، و من بين الأمثلة التي يضربها توضيحا قول الأعشى :

و يأمر لليحمـوم كل عشية بقت و تعليق و قد كان ينسق

قال الأصمعي : " أقل حمار لطحان ينال هذا "³

كان حازم القرطاجني خاتمة النقد الأدبي القديم قبل أن يغوص في الجمود ، كما كان خاتمة النقاد الذين أجازوا الغلو في الشعر ليصل الشاعر إلى غرضه إذا قصد إلى " تحسين حسن و تقبيح قبيح ، فإنه متمكن من القول الصادق و المشهود فيهما ، و أكثر أقوال الشعراء في هذين القسمين إذا لم يقصدوا المبالغة ما يحاكونه و يصفونه ، صادقة اللهم إلا أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقة و يحاكونه كما هو أعظم منه حالا أو أحقر ليزيد النفوس استمالة إليه أو تنفيرا عنه "⁴ ، فللشاعر أن يكون صادقا في وصفه كما له أن يقصد المبالغة فيتجاوز حد الحقيقة ليكون أكثر تأثيرا في المتلقي و ليس للشاعر دائما حق الاختيار بل يجب عليه أحيانا أن يبالغ في مدح فضائل الملوك و الخلفاء ، يجب أن " يكون بأفضل مما يتفرع من تلك الفضائل و أكملها كنصر الدين و إفاضة العدل و حسن السيرة و السياسة و العلم و الحلم و التقى و الورع و الرأفة و الرحمة و الكرم والهيبة و ما أشبه ذلك و ينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الإقتصاد إلى الإفراط "⁵ ، و ليس المدح الغرض الشعري الوحيد الذي يجيز حازم اللجوء فيه للغلو بغية الوصول إلى الغاية المنشودة بل يجوز استخدام المستحيل الذي سبق و أن رفضه في الشعر عند قصد الزراية و السخرية و الإضحاك كقول الطرماح :

و لو أن برغوثا على ظهر نملة يكر على صفي تميم لولت

" فهذا و أشباهه إنما استعمل على جهة الزراية و الإضحاك فهو مقصود به غرض ما ، يسوغ معه ما لا يسوغ دونه "⁶ ، فكأنني بحازم يطبق مقوله " الضرورات تبيح المحظورات " فالغلو مطلوب في المدح و جائز في السخرية و كثير في القول حيث أجاز الاختلاف الإمكاناني الذي أوجزه الدكتور مصطفى الجورو بقوله : " الاختلاف الإمكاناني : و هو الذي يدعي فيه الإنسان مثلا أنه محب و يذكر محبوبا تيممه و منزلا شجاه من غير أن يكون كذلك مع أن الأمر يمكن أن يقع له و لغيره من أبناء جنسه ... و هو يقع للغرب في جهات الشعر و أغراضه "⁷

¹ المرتضى الشريف : الأمالي جزء 2/ ص 96 .

² ابن منقذ : البديع في نقد الشعر ص 213 .

³ نفسه : ص 214 .

⁴ القرطاجني حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 73 .

⁵ نفسه : ص 170 .

⁶ نفسه : ص 135 .

⁷ الجوزو مصطفى : نظرية الشعر عند العرب ص 177 .

انضم السلجماسي للبلاغيين المؤيدين للغلو و بشدة و كان موقفه واضحا ، فقد بدأ بتوضيح انقسام النقاد إلى رأيين فقال : " فقوم - و هم الأكثرون - يرون أن الشريعة فيه و ملاك أمره هو أن يتجاوز فيه حال نوعي الوجود العقلي و الحسي إلى المحال و الكذب و الاختراع ، و قوم يرون التوسط فيه أكثر و أحمد و أفضل في الصناعة إحجاما و رهبة للاختراع و الكذب " ¹

يقرر السلجماسي من البداية أن أكثر البلاغيين مع الغلو ، بل أكثر من ذلك يرون أنه شرط ضروري و للوقوف على أرجح الرأيين ، لا بد من البحث عن موضوع الشعر أولا و يقرر السلجماسي أنه التخييل و الاستفزاز ² وعلى هذا الأساس " فمن البين بنفسه أن الرأي الأول أثر و أنحل في الأمر الصناعي أخذ في القول الشعري مخيلا أو ممتنعا و أن رهبة الفريق الثاني من الإقدام على الكذب المحض و القول المخترع و المحال خارج عن الأمر الصناعي و الحق هو الأول " ³ لا يكتفي السلجماسي هنا بترجيح الرأي الأول بل يصدر حكمة على الفريق الثاني ، فالحكم على الشعر لا يكون يصدقه أو كذبه.

ثانيا : نقاد ضد الغلو

اتخذ بعض النقاد العرب القدامى موقفا رافضا للمبالغة و الغلو ، داعيا للاقتصار على الحد الأوسط، و كان الجاحظ(ت 255 هـ) في مقدمتهم ، حيث كرر رفضه للمبالغة في

¹ السلجماسي : المنزع البديع ص 274 .

² المرجع السابق ص 274 .

³ السلجماسي : المنزع البديع ص 275 .

كتبه المشهورة ، فمما جاء في البخلاء : " زعموا أن رجلا قد في البخل غايته ، و صار إماما ، و أنه إن صار في يده درهم خاطبه و ناجاه و فاداه و استبطاه ... فلما مات و ظنوا أنهم قد استراحوا منه ، قدم ابنه فاستولى على ماله و داره ، ثم قال : و ما كان أدم أبي ؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون في الأدام ، قالوا : كان يتأدم بجبنة عنده ، قال : فهذا أهلكني ، و بهذا أقعدني هذا المقعد لو علمت ذلك ما صليت عليه ، قالوا : فأنت كيف تريد أن تصنع ؟ قال : أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة ، و لا يعجبني هذا الحرف الأخير لأن الإفراط لا غاية له ، و إنما نحكي ما كان في الناس و ما يجوز أن يكون فيهم مثله ، أو حجة أو طريقة ، فأما مثل هذا الحرف فليس مما نذكره " ¹ ، المبالغة يمكن أن يقبلها الجاحظ إذا صورت ما كان في الناس أو ما يجوز أن يكون منهم ، أما إذا خرجت إلى الإفراط الذي لا يمكن تحققه في الموصوف فهذا ما يرفضه الجاحظ.

و يؤكد هذه الفكرة في البيان و التبیین حيث يقول : " و في الإقتصاد بلاغ و في التوسط مجانية للوعورة ، و خروج من سبيل من كان يحاسب نفسه و قد قال الشاعر :

عليك بأوســــاط الأمور فإنها نجاة و لا تتركب ذلولا و لا صعبا

و قال آخر :

لا تذهبن في الأمور فرطا لا تسألنا إن سألت شططا
و كن من الناس جميعا وسطا

و ليكن كلامك ما بين المقصر و الغالي ، فإنك تسلم من المحنة عند العلماء و من فتنة الشيطان " ² ، و في كتابه الحيوان أعجب الجاحظ بأشعار المقتصدين :

تركت الركاب لأربابها فأجهدت نفسي على ابن الصعق
جعلت صدق وشاما له و بعض الفــــوارس لا يعتنق

و ممن صدق على نفسه عمرو بن الأطنابة حيث يقول :

و إقدامي على المكروه نفسي و ضربني هامة البطل المشيح
و قولي كلما جشأت و جاشيت مكانك تحمــــدي أو تستريحي

و قال قطري بن الفجاءة :

و قولي كلما شجــــأت لنفسي من الأبطال ويــــحك لن تراعي
فإنك لو سألت حيــــاة يوم سوى الأجل الذي لك لن تطاعي

و قالت الخنساء :

يهين النفوس و هون النفوس غداة الكريهة أبقى لها ³
و اعتدال هذه الأشعار هو سبب إعجاب الجاحظ بها.

و دائما في كتاب الحيوان يرفض الجاحظ الأشعار المفرطة و يلوم أصحابها " فإن النسور تتبع العسكر ، و تتبع الرفاق ذوات الإبل ، و قد تفعل ذلك العقبان و تفعله الرخم ... و قد أكثر الشعراء في هذا الباب حتى أكتب بعض المحدثين و هو مسلم بن الوليد بن يزيد فقال :

¹ الجاحظ : البخلاء ص 131 - 132 .

² الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - مصر ومكتبة المثنى - بغداد 1381 هـ / 1961 م ط 2 في داخل الكتاب مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1380 هـ / 1960 م مجلد 1 ج 1 ص 255 .

³ الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 425 - 427.

يكسو السيوف نفوس الناكثين به
قد عود الطير عادات و ثفن بها
و لا تعلم أحدا منهم أسرف في هذا القول و قال قولاً يرغب عنه إلا النابغة فإنه يقول :
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب
و هذا لا نثبتة ، و ليس عند الطير و السباع في اتباع الجموع إلا ما يسقط من ركابهم و
دوابهم ، و توقع القتل ، إذ كانوا قد رأوه من تلك الجموع مرة أو مرارا ، فأما أن تقصد
بالأمل و اليقين إلى أحد الجمعين ، فهذا ما لم يقله أحد ¹
ثم ينتقل الجاحظ إلى الشعراء الذين وصفوا الضرب و الطعن و يلوم من أفرط منهم : " و
قال ابن هرمة :

بالمشرفية و المظاهر نسجها
و بكل أروع كالحرير مطاعن
و إذ قد ذكرنا شيئاً من الشعر في صفة الضرب و الطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما
يشاكل هذا الباب من إسراف من أسرف و اقتصاد من اقتصد ، فأما من أفرط فقول مهلهل :
فلولا الريح أسمع من بحجر
و قال الهذلي :

و الطعن شغشغة و الضرب هيعة
و للقيسي أن أميل و غمغمة
و من ذلك قول عنتره :
برحبية الفرعين يهدي جرسها
و قال أبو القيس الأسلت :
قد حصت البيضة رأسي فما
و قال دريد بن الصمة :

أعـاذل إنما أفني شبابي
مع الفتيان حتى خل جسمي
و مما يدخل في هذا الباب قول عنتره :
رعناهم و الخيل ترتدي بالقنا
و أن المنية في المواطن كلها
و هذه الأمثلة توضح موقف الجاحظ الراض للإفراط الذي " يبلغ الغاية " ، فهو رفض
شعر المهلهل لبعد المسافة بين منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام و حجر و هي
قصة اليمامة فوصول الصوت عبرها مستحيل.
و كذلك مبالغة الهذلي و غلو عنتره الذي ادعى أن صوت ضرباته يهدي السباع الجائعة
التي تجد طعامها في جثث قتلاه و ادعى أكثر من ذلك عندما جعل طعناته سبق الآجال.

¹ الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 322 - 325 .

² الجاحظ : الحيوان ج 6 ص 418 - 420.

رفض الجاحظ في رسائله الغلو حتى في المدح و طالب الشاعر فيه بالصدق و التزام الدقة ، فقال : " و أنفع المدائح للمادح و أجداها على الممدوح و أبقاها أثرا و أحسنها ذكرا أن يكون المديح صدقا و للظاهر من حال الممدوح موافقا و به لائقا حتى لا يكون من المعبر عنه و الواصف له إلا إشارة إليه و التنبيه عليه " ¹

رفض محمد بن يزيد المبرد الغلو و دعا إلى القرب من الواقع أو الالتزام بهفي التعبير الشعري ، و قد ذكر صاحب الموشح جزءا من آرائه : " أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي عن محمد بن يزيد المبرد قال : في المحدثين إسراف و تجاوز و غلو و خروج عن المقدار ، من ذلك قول بكر بن النطاح :

نمشي على الخز من تنعمها فيشتكي رجلها من النزف

لو مر هارون في عساكره ما رفعت طرفها من السجف²

كما أورد له لوما عنيفا لأبي نواس على إفراطه في مدح الرشيد و نسبته إلى الكفر الصريح ، قال : و من شعره يقصد أبا نواس- الذي يذم قوله في الرشيد :

لقد اتقيت الله حق تقياته و جهدت نفسك فوق جهد المتقي

و ليس هذا البيت أردت ، و لكن ذكرته للذي بعده ، لأنه معطوف عليه متصل به ، و هو :
و أخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

هذا البيت بادى العوار جدا ، و قد رددّه في مكان آخر ، فقال :

هارون ألقت ائتلاف مودة ماتت لها الأحقاد و الأضغان

حتى الذي في الرحم لم يك صورة لفؤاده من خوفه خفغان

و ما لم يك صورة فكيف يكون له فؤاد ؟ فقد أحال و أسرف و تجاوز " ³
كما ذكر له بعد ذلك شعرا في مدح الأمين ، أنكره أشد الإنكار " قال : و قد قال أبو نواس شيئا من الشعر في الأمين اتهم فيه لأنه قال قولا عظيما لا يتكلم بمثله مسلم و هو قوله :

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبه خلقا و خلقا كما قد الشراكان

اثنان لا فصل للمعقول بينهما معناهما واحد و العدد اثنان

... و مما أكثر من قوله :

يا أحمـد المرتجى في كل نائبة قم سيدي نعص جبار السماوات

لأن هذه أعظم جرأة و أقبح مجاهرة ، و أشد تبغضا إلى العزيز الجبار أن يقول " قم نعص جبار السماوات " ، فذكر المعصية مع ذكر الجبار عز اسمه و أن إياه يقصد العصيان " ⁴
و لم يقتصر ذم المبرد للشعر المفرط الذي يمس الجانب الديني و يمكن أن يصل إلى درجة الكفر ، بل ذم كل الشعر المغالي ، فمما جاء في العمدة " و قد قال الحذاق خير الكلام الحقائق ، فإن لم تكن فما قاربها و ناسبها و أنشد المبرد قول الأعشى :

¹ محمد بن عبد الغني المصري : نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي ، دار مجدلاوي عثمان الأردن ط 1 - 1407 هـ / 1987 م ص 230 .

عن رسائل الجاحظ ج 1 ص 36 - 38 مناقب الترك .

² المرزباني : الموشح ص 456 .

³ نفسه: ص 415 - 416 .

⁴ نفسه: ص 416 - 417 .

فلو أن ما أبقيني مني معلق بعود تمام ما تأود عودها
فقال : هذا متجاوز و أحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه و أحسن منه ما أصاب
الحقيقة فيه " ¹

و كان المبرد يضع الشعر في درجات أو مراتب فالشعر الملتزم بالواقع و الواصف للحقيقة
في أعلى السلم ، و أقل منه الشعر المقارب لها في الشبيه أما الدرجة الأخيرة فهي للشعر
المغالي.

ذكر الثعالبي (ت 429 هـ) الغلو في سياق تعداده لعيوب المتنبي فاعتبره من الهفوات
التي تسقط الشعر و لا تغتفر ، فكان رافضا له تماما. " ... فبينما هو يصوغ أفخر حلي و
ينظم أحسن عقد و ينسج أنفس وشي و يختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت و
البيتين في أبعاد الإستعارة و تعويض اللفظ ، أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلف و
الزيادة في التعمق و الخروج إلى الإفراط و الإحالة ... فهجا تلك المحاسن و كدر صفاءها ،
و أعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها و استهدف لسهام العاتيين و تحكك بألسنة الطاعنين " ²

ثم أفرد الثعالبي بابا خاصا لهذا العيب بدأه بعدة أبيات أفرط فيها المتنبي كقوله :
و قالوا ما اشتهوا بالحرم هونا و صاد الوحش نملهم ديبيا

و قوله :

و ضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
فبعده و إلى ذا اليوم لو ركضت بالخيال في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله :

و أعجب منك كيف قدرت تنشأ وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر

وقوله :

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله :

من بعد ما كان ليلي لا صباح له وكأن أول يوم الحشر آخره

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيرا من النقدة لا يرتضون هذا الإفراط كله ³

¹ ابن رشيق : العمدة ص 287 .

² الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر - بيروت ط 2 - 1393 هـ / 1973 م مجلد 1 ج 1 ص 148 .

³ الثعالبي : يتيمة الدهر ص 164 .

ولم يوضح الثعالبي الأمر أكثر من ذلك ولم يبين مَنْ من النقدة رفض الإفراط ، وكان جامعا أكثر منه ناقدا .

ومن عيوب المتنبي التي عددها الثعالبي ضعف العقيدة وفي هذا الباب جمع عددا من الأبيات التي تضمنت غلوا يمس بالجانب الديني ، وعابها الثعالبي رغم أنه ذكر في بداية الفصل " ... أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ولا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله :

يرتشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقوله :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى
وقوله من قصيدة مدح بها العلوي :
وأبهر آيات التهامي أنــــه
وقوله :
تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدنــــا

وقد أفرط جدا ، لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .

وقوله :

الناس كالعابدين آلــــهة وعبده كالموحد اللاهــــا

وقوله :

ولو كان علمك بالإله مقسما في الناس ما بعث الإله رسولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل الــــ توراة والفرقان والإنجيــــلا

وقوله :

ولو كان ذو القرنين أعمل رأيــــه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيســــى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة و السلام ، بإذن الله عز وجل .

أو كان لج البحر مثل يمينــــه ما انشق حتى جاز فيه موسى
وكان المعاني أعيته حتى التجأ إلى استفسار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظله أبدا ، ونطرد باسمه إبليســــا
وقوله وقد جاوز حد الإساءة :

أي حدد أرتقيــــــــــــــــي أي عظيم أنقيــــــــــــــــي ؟
 وكل ما قد خلــــــــــــــــق الله ومــــــــــــــــال لم يخلــــــــــــــــق
 محتقــــــــــــــــر في هــــــــــــــــمــــــــــــــــتي كشعــــــــــــــــرة في مفرقــــــــــــــــي

وقبيح من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة¹

كان المراكشي (ت 721 هـ) صاحب الروض المريع ، رافضا للغلو أيضا ، فعند حديثه عن أقسام الكلام جعل الشعر قسما مستقلا وعرفه بقوله ، والرابع الشعر وهو الخطاب بأقوال كاذبة مخيلة على سبيل المحاكاة يحصل عنها استفزاز بالتوهمات² ، فالشعر - حسب رأيه - أقوال كاذبة جملة ، ويستفز بالتوهمات ، والقسم الذي الشعر عنده هو " الخامس المغالطة وهو الخطاب بأقوال كاذبة يحصل عنها ظهور ما ليس بحق أنه حق ، وهذان القسمان خارجان عن باب العلم وداخلان في باب الجهل " ³ وأخيرا يختم كلامه عن الشعر بإخراجه من باب العلم ونسبته للجهل.

كما أخرج المراكشي التشبيه المغالي من الحكمة ونسبه للشعر " لأنه - يقصد الشعر - مبني على المحاكاة والتخيل لا على الحقائق ولذلك اختصر الشعر بأنواع ليست من البديع بحسب الحكمة وهي من البديع بحسب اللسان ... ولكن ليس للشاعر أن يحاكي ويتخيل في الشيء ما ليس موجودا أصلا ، لأنه إذا فعل ذلك لم يكن محاكيا بل يكون مخترعا ، فتركب الكذب في قوله ، فتبطل المحاكاة لكذبها وهي موضوع الشعر " ⁴

ثالثا : نقاد الاعتدال أو اللاموقف

تأرجح عدد من النقاد و البلاغيين بين قبول الغلو أو رفضه فلم يكن لهم موقف محدد أو أن مواقفهم اتسمت بالتناقض فأحيانا الغلو ، مقبول و أحيانا أخرى هو مرفوض دون مقياس محدد اعتمدوا عليه ، فكان من الأفضل وضعهم في خانة منفصلة فلا يمكن أن يحسبوا على أي فريق ، و يقف ابن طباطبا العلوي في صدارة هؤلاء. فنظريا هو يرفض الغلو لكنه تطبيقيا ، أورد العديد من الشواهد عليه و أبدى إعجابه بالعديد منها ، و قد بدأ كتابه عيار الشعر ببيان عيار الشعر و وضع السنن التي يجب على الشاعر اتباعها ، و المزالق التي يجب عليه اجتنابها قائلا : " ... و اجتناب ما يشينه من سفاسف الكلام و سخيظ اللفظ ، و المعاني المستبردة و التشبيهات الكاذبة و الإشارات المجهولة ، و الأوصاف البعيدة و العبارات الغثة حتى لا يكون ملفقا مرفوعا " ⁵

¹ الثعالبي : بتيمة الدهر ج 1 ص 168 - 170 .

² المراكشي، ابن البناء المراكشي العددي : الروض المريع في صناعة البديع ، تحقيق رضوان بن شقرون ، دار النشر المغربية - الدار البيضاء 1985 ص 89 .

³ نفسه: ص 89 - 90 .

⁴ المراكشي:الروض المريع ص 103 - 104 .

⁵ ابن طباطبا : عيار الشعر ص 6 - 7 .

و ثلاث من الأمور المنهي عنها يمكن أن يجسدها الغلو ، فالتشبيه الكاذب قد يكون غلوا ، و كذلك الأمر بالنسبة للإشارة المجهولة و خصوصا الأوصاف البعيدة ، و يؤكد ابن طباطبا نفس الفكرة مرة أخرى و بنفس العبارة تقريبا¹ في موضع آخر من كتابه.

و يضع ابن طباطبا دستوراً لمعرفة الشعر الجيد : و عيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فيما قبله و اصطفاه فهو واف ، و ما مجه و نفاه فهو ناقص و العلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه و نفيه للقبیح منه ، و اهتزازة لما يقبله و تكرهه لما ينفيه ، أن كل حاسة من حواس البدن إنما تقبل ما يتصل مما طبعت له ، إذا كان وروده عليها ورود الطيف باعتدال لا جور فيه و بمرافقة لا مضاد معها " ²

و الفهم الثاقب الذي أوكل إليه ابن طباطبا الإحساس بالشعر الجيد " يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، و الجائز المعروف المألوف ، و يتشوف إليه و يتجلى له ، و يستوحش من الكلام الجائر الخطأ الباطل ، و المحال المجهول المنكر ، و ينفر منه ، و يصدأ له " ³

و هذه الصفات كلها تقع على طرفي النقيض من الغلو ، فهو مناف للعدل الصواب الحق خصوصا في المدح و الهجاء ، و هو أيضا الخروج عن المألوف ، و أحيانا كثيرة يكون باطلا ليصل حد المحال.

و يلخص ابن طباطبا عيار الشعر في الاعتدال ، فهو علة كل حسن مقبول⁴ ، و الغلو لما سبق تعريفه هو تجاوز الحد.

و كل هذا الإلحاح من ابن طباطبا يؤكد موقفه الرافض للغلو و يلخص د. إحسان عباس موقفه فيقول : " فإذا خرج الشاعر عن الصدق انتقل إلى الغلو و الإفراط ، و ذلك عيب ، و متى تضمن الشعر صفات صادقة و تشبيهات موافقة و أمثالا مطابقة نصب حقائقها ارتاحت إليه النفس و قبله الفهم " ⁵.

لكن ابن طباطبا عند التطبيق ينسى عياره و يعجب بأشعار فيها غلو ، فيقول عن شعر الفرزدق : " فانظروا إلى لطفه في قوله :

و قد خفت حتى لو أرى الموت مقبلا ليأخذني و الموت يكره

زائره

لكان من الحجاج أهـون روعة إذا هو أغفى و هو سام

نواظه

ليكون أشد مبالغة في الوصف عند إغفائه بالموت ، فما ظنك به ناظرا متأملا متيقظا ثم نزهه عن الإغفاء⁶.

و هذا الوصف فيه إسراف و لا مكان فيه للعدل الصواب و الحق و مع ذلك أشاد به.

¹ نفسه:ص 199 - 200 .

² نفسه: ص 19 - 20 .

³ ابن طباطبا :عيار الشعر ص 20 .

⁴ نفسه: ص 21 .

⁵ عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الثقافة - بيروت ط 5 - 1406 هـ / 1986 م ص 132 .

⁶ ابن طباطبا : عيار الشعر ص 80 .

و ختم ابن طباطبا اختياره بشاهد أجمع العديد من النقاد على إنكاره و عدوه محالا و كفرا و لكن ابن طباطبا أورده دون أن يرفضه و اكتفى بوصفه بالإغراق " و قد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها فقال أبو نواس :
و أخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التي لم تخلق¹

لم يكن للقاضي الجرجاني موقف واضح من الغلو ، فهو أحيانا ضده و أحيانا أخرى يدافع عنه ، كمل اختلف النقاد كذلك في تصنيفه.

و إن كان لم يخرج عن المبدأ الذي انتهجه في كتابه مبدأ المقاسية لغرض الوساطة بين المتنبي و خصومه بل انصافه من خصومه ، إذ أن دفاعه عن الشعر المحدث و الشعراء المحدثين إنما هو تمهيد لإنصاف أبي الطيب².

اتخذ الجرجاني في بداية وساطته موقفا وسطا و وضع كيف أفرط المحدثون في البديع قائلا : " و كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة و الحسن بشرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ و استقامته و تسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، و شبه فقارب و بده فأغزر و لمن كثرت سوائر أمثاله و شوارد أبياته ، و لم تكن تعباً بالتجنيس و المطابقة و لا تحفل بالإبداع و الاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر و نظام القريض و قد يقع ذلك في خلال قصائدها ، و يتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد و قصد ، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ، و رأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة و الحس ، و تميزها عن أخواتها في الرشاقة و اللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع ، فمن محسن و مسيء و محمود و مذموم و مقتصد و مفرط³.

فهذا الشعر قد يكون محمودا أو مذموما جيدا أو رديئا و لا يمكن إصدار حكم عام بالإساءة لكن الشعر الجيد قديما كانت له مقاييس مختلفة تتمثل في الصفات السابقة و هي :

- شرف المعنى و صحته
- جزالة اللفظ و استقامته
- إصابة الوصف
- المقاربة في التشبيه
- الغزارة في البديهة
- كثرة الأمثال و الأبيات الشاردة

و من البديهي أن الأبيات المفرطة تخرج عن هذه المقاييس و يجد الجرجاني مخرجا للمتنبي في إفراطه ، فهو يعتبره ملتزما بالشروط الستة ، يفصله إحسان عباس قوله " غير أنك تلمح من طرف خفي أن الشروط الستة التي وضعها تنطبق على المتنبي تماما فإذا طالعته بمعنى مستكره أو وصف غير مصيب أو استعارة مفرطة ، دعاك إلى أن لا تحكم ببيت على الأبيات " ⁴

لكن الجرجاني في موضع آخر من كتابه يرى أن الإفراط صفة مشتركة بين القدامى و المحدثين و يضرب الأمثلة لذلك " فكيف لمتن على أبي الطيب لإفراطه في قوله :

¹ ابن طباطبا: عيار الشعر ص 81 .

² عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، دار الشروق ط 2 المنقحة 1997 ص 325 .

³ الجرجاني القاضي : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 33 - 34 .

⁴ عباس إحسان : تاريخ النقد ، طبعة دار الشروق ص 315 .

ذراعاها عدوا دملجها
إذا ساغ للمتقدم أن يقول :
فلما حثته أعلى مصلى
فأما ما جرى مجرى قول أبي نواس :
و أخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التي لم تخلق

فهو من المحال الفاسد ، و له باب غير هذا و كل هذا عند أهل العلم معيب مردود ، و منفي مردول ، و إن كان أهل الإعراب و أصحاب البديع من المحدثين قد لهجوا به و استحسوه ، و تنافسوا فيه ، و بارى بعضهم بعضا فيه . و لسننا نذهب بما نذكره في هذا الباب مذهب الاحتجاج و التحسين ، و لا نقصد به قصد العذر و التسويغ ، و إنما نقول : إنه عيب مشترك ، و ذنب مقتسم ، فإن احتمل فللكل ، و إن رد فعلى الجميع ، و إنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء ، و موقعه منه موقع رجل من المحدثين " ¹ فالغلو عيب مشترك ، فإذا احتمل فللكل و إن رد فعلى الجميع لكنه هو لا يحتمل غلو أبي نواس فكيف يقبل أن يصل الشاعر المتقدم إلى السماء السابقة و يرفض أن تخاف النطف التي لم تخلق عند أبي نواس ؟

لم تكن الرخصة التي منحها الجرجاني للمتأخرين كاملة ، فهو في آخر فصل غلو القدامى يذم إفراطهم قائلا : " و أمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد من بعدهم سبيلا مسلوكا و طريقا موطئا ، فقصدوا و جاروا ، واقتصروا و أسرفوا و طلب المتأخر الزيادة ، و اشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول ، و لم يقف عند حد المتقدم ، فاجتنبه الإفراط إلى النقص ، و عدل به الإسراف نحو الذم " ² و التسامح عند الجرجاني يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة على اللغة و الشعر " و متى اتبع فيها الرخص ، و أجريت على المسامحة أدت على فساد اللغة ، و اختلاط الكلام و إنما القصد فيها التوسط و الاجتزاء مما قرب و عرف و الاقتصار على ما ظهر و وضح " ³ و من كل ما مضى يمكن تلخيص موقف الجرجاني :

- إذا عاب النقاد على المتنبي إفراطه فهو مذهب عام في المحدثين.
- لم يكن الإفراط سببا في تقديم العرب للشاعر.
- لم يمكن الحكم على المتنبي من خلال أبياته التي أفرط فيها.
- الإفراط صفة مشتركة بين القدامى و المحدثين ، فيقبل من الكل أو يرد على الجميع.
- الرخصة الممنوحة للمحدثين محدودة.

و لتمييز الغلو المقبول يحكم الجرجاني الذوق فما قبله القلب و النفس فهو جيد و ما انصرف عنه فهو رديء ⁴.

اختلف الدارسون في تحديد موقف الجرجاني فمحمود السمره يعتبره رافضا للغلو : " فهو عنده عيب مشترك بين الشعراء جميعا و هو يؤثر التوسط و الاجتزاء بما قرب و عرف ، و الاقتصار على ما ظهر و وضح ، و يبدو لنا هذا الموقف سليما " ¹

¹ الجرجاني القاضي : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 427 .

² نفسه:ص 423 .

³ نفسه: ص 433 .

⁴ نفسه: ص 429 .

و يكتفي منير سلطان بالإشارة إلى تحكيمه للذوق و مطالبته المحدثين بالاعتدال².
و يؤكد أحمد عبد السيد الصاوي قبوله للغلو : " و معنى ذلك أن الجرجاني يرتضي المبالغة و الغلو " ³

و حاول مصطفى الجوزو أن يتفهم موقفه أكثر " و بكلمة ، أن الجرجاني كقاضي يميل إلى التوسط و العدل ، و كناقذ تقليدي يعظم عمل القدماء و يجعله مثالا ، و لذلك يقبل الإفراط الذي أكثروا من استعماله و يسامحهم على إغراقهم الفاحش ، لكنه لا يقبل المحال الفاسد الذي هو من عمل المحدثين مثل أبي نواس ، فهو قاض على المحدثين مقدس للأولين لا يجيز لنفسه الحكم عليه ، و هذا الموقف ليس نقديا فنيا بل هو موقف نقدي دفاعي " ⁴
طور أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت 421 هـ) عمود الشعر ، و زاد في عناصره التي صنفها الجرجاني سابقا و " زاد من اتساع هذه النظرية حين جعلها ذات وسط و طرفين ، فإما أن يعمد الشاعر إلى تحقيق هذه العناصر عن طريق الصدق ، و إما أن يذهب مذهب الغلو ، و إما أن يكون مقتصدا بين بين ، و لكل جانب أنصاره الذين يؤثرونه " ⁵

الطرف الأول يقول : " أحسن الشعر أصدقه " ، و الطرف الثاني يقول : " أحسن الشعر أكذبه " ، و أضاف المرزوقي مقولة جديدة : " أحسن الشعر أقصده " و شرح باختصار وجهة نظر كل فريق : " من قال أعذب الشعر أصدقه ، إنما قال ذلك لأن تجويد قائله مع كونه في إसार الصدق يدل على الاقتدار و الحذق ، و الذين اختاروا مذهب الغلو حتى قيل " أعذب الشعر أكذبه " ، لأن قائله إذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف و الموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى رتبة و أظهر قوله في الصياغة و تمهره في الصناعة ، و اتسقت مخارجه و موالجه فتصرف في الوصف كيف شاء ، لأن العمل عنده على المبالغة و التمثيل لا على المصادقة و التحقيق و على هذا أكثر العلماء بالشعر و القائلين له ، و بعضهم قال : " أحسن الشعر أقصده " ، لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعرا فقط ، فيما استوفى أقسام البراعة و التجويد أو جلها ، من غير غلو في القول و لا إحالة في المعنى ، و لام يخرج الموصوف إلى أن يؤمن لشيء من أوصافه لظهور السرف في آياته و شمول التزيد لأقواله كان بالإيثار و الانتخاب أولى " ⁶

فلكل فريق حججه و لكل طريق مزاياه ، فالإجادة رغم الالتزام بالصدق دليل على القدرة و المهارة و بالمقابل من تنازل عن الصدق و كان هدفه المبالغة وجد المجال واسعا أمامه و هذا سبيل أكثر العلماء و الشعراء و بين الطرفين يظهر فريق ثالث منهجه " أحسن

¹ سمرة محمود : القاضي الجرجاني الأديب الناقد ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، لبنان 1979 ط 2 ص 175 .

² سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 132 .

³ الصاوي أحمد عبد السيد : مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ، دراسة تاريخية فنية ، منشأة المعارف الإسكندرية 1988 ص 55 .

⁴ الجوزو مصطفى : نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية) دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ط 1 صفر 1402 هـ / كانون الأول 1981 م ص 163 .

⁵ عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي ، طبعة دار الشروق ص 416 .

⁶ المرزوقي أبو علي : شرح ديوان الحماسة ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون - القاهرة 1951 ج 1 ص 11 - 12 .

الشعر أقصده " لأن للمبالغة حدودا ، فهي مقبولة في حدود الشعر ليزيد جودة و براعة دون الوصول إلى درجة الغلو و الإحالة.

لم يتخذ ابن رشيق القيرواني موقفا محددا فهو ضد المبالغة أحيانا ، و مناصر لها أحيانا أخرى ، فهو يعتبر أن خير الأمور أوسطها " . إلا أنه لا يجب للشعر أن يبعد الاستعارة جدا حتى ينافر و لا أن يقربها كثيرا حتى يحقق و لكن خير الأمور أوسطها. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز و استعار حتى حقق :

و قد لبست لبس الهلوك ثيابها و أبدت لك الدنيا بكف و معصم
و ترمق أحيانا بعين مريضة و تبسم عن مثل الجمان المنظم

و حسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض و شبه بالجمان و هذا إفراط غير جيد وهنا
1 "

و لا تقف معارضة ابن رشيق للغلو عند هذا الحد ، فهو ينص عليها في مواضع عدة من العمدة ففي بداية باب الغلو يقول : " و من أسمائه أيضا الإغراق و الإفراط و من الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق و الغلو و لا أرى ذلك إلا محالا لمخالفته الحقيقة و خروجه عن الواجب و المتعارف و قد قال الحذاق خير الكلام الحقائق فإن لم تكن فما قاربها و ناسبها " ² . و أكثر من ذلك يستشهد بآية قرآنية " و أصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل و ثبت فيه الشاهد من كلام الله تعالى و نحن نجده عند قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جل من قائل " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق " ³ ، ⁴ . ثم يناقض ابن رشيق نفسه حين يعترف بوجود الغلو في القرآن الكريم " و الغلو عند قدامة تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه و ليس خارجا عن طباعه كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه :

تظل تحفر عنـه إن ضربت به بعد الذراعين و الساقين و الهادي
إذ ليس خارج عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد ذلك في الأرض ، و لأن مخارج الغلو عنده على (تكاد) و على هذا تأويل أصحاب التفسير قوله تعالى " و بلغت القلوب الحناجر " أي كادت ⁵.

و ينتقل ابن رشيق من النقيض إلى النقيض حيث يمدح المبالغة و يعدها أساسية في الكلام " فمن أحسن و أغر بها عند الحذاق التقصي و هو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء كقول عمر بن الأيهم التغلبي :

و نكرم جارنا ما دام فينا و نتبعه الكرامة حيث كانا
فتنقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه و وصف به قومه ، فأما الغلو فهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها و يقع فيه الاختلاف لا ما سواه من ماء بنيت و لو

¹ القيرواني ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق وشرح مفيد قميص ، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 - 1403 هـ / 1983 م ص 188 .

² نفسه:ص 287 .

³ سورة المائدة آية 77

⁴ ابن رشيق القيرواني : العمدة ص 287 - 288 .

⁵ ابن رشيق القيرواني : العمدة ص 288 .

بطلت المبالغة كلها و عيبت لبطل التشبيه و عيبت الاستعارة إلى كثير من محاسن الكلام ...
 " ¹ ، و يسرد بعد هذا قائمة من الشواهد الأدبية التي تدل على جمال المبالغة :
 وحمد ابن سنان الخفاجي المبالغة و الغلو " لأن الشعر مبني على الجواز و التسميح²
 و يعلن مخالفته للمذهب الرافض لهما و الذي يذم بيت أبي نواس :
 و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق³
 ثم يناقض نفسه حين يرى استعمال كاد " ليكون الكلام أقرب إلى حيز الصحة " ⁴ ، و
 بكلامه هذا يلغي الجانب الفني في العمل الشعري فيغلب المعايير العقلية على المعايير الفنية
 الخاصة.

كان عبد القاهر الجرجاني مترددا بين العقل و التخيل دون موقف واضح و محدد ،
 فأفكاره تتداعى عند الحديث عن فضائل التخيل في الشعر حتى يظن القارئ أنه من أنصاره
 لكنه يعود فينقض كل كلامه ليؤيد الحقيقة " فالجرجاني يتنازع هنا جانبان فالأول فني
 جمالي يجعله يقدم آراء أنصار الكذب في الشعر ببراعة و تشويق و تحبيب حتى يوهمنا أنه
 منهم ، و الثاني ديني عقلي يجعله يقدم رأي القائلين بالصدق مختصرا و يلتزمه بسبب
 عقدي " ⁵

الجرجاني يقر بداية أن الشعر لا يخضع لسلطان العقل " و لا يؤخذ الشاعر بأن
 يصحح كون ما جعله أصلا و علة كما ادعاه فيما يبرم أو ينقض من قضية ، و أن يأتي
 على ما صيره قاعدة و أساسا ببينة تعلية ، بل تسلم مقدمته التي اعتمدها بلا بينة " ⁶ ، فليس
 من واجب الشاعر رصد الحقائق و إيصالها و لا هو مطالب بالبرهان على صحة ما يقول.
 يؤكد الجرجاني نفس الفكرة عدة مرات في كتابه ، فعند كلامه عن جعل الفرع في الصفة
 أصلا له للمبالغة يقول : " و المعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها ضرب من
 السرور خاص و حدث بها من الفرح نصيب و كانت كالنعمة لم تكدرها المنة و الصيغة
 لم ينقصها اعتداء المصطنع بها " ⁷

و الاستعارة عند الجرجاني أساسها المبالغة ، و يلخص الدكتور شوقي حديثه فيها
 بقوله : " فالمدار على المبالغة في وصف الاستعارة بأنها مفيدة فإذا سقطت المبالغة سقطت
 الفائدة " ⁸

اتبع الجرجاني طريقة جدلية ليبين محاسن و مساوئ كل منهج ، فمن فضل المبالغة
 كانت حججه الآتية : " إن الصنعة إنما تمد باعها و تنتشر شعاعها و يتسع ميدانها ، و تنفرع
 أفنانها ، و حيث يقصد التلطف و التأويل ، و يذهب بالقول مذهب المبالغة و الإغراق في
 المدح و الذم و الوصف و النعت و الفخر و المباهاة و سائر المقاصد و الأغراض ، و هناك
 يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع و يزيد و يبيد في اختراع الصور و يعيد ، و يصادف

¹ المرجع السابق ص 282 - 283 .

² الخفاجي ابن سنان : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1 - 1402 هـ / 1982 م ص 272 .

³ نفسه : ص 271 - 272 .

⁴ نفسه : ص 272 .

⁵ الجوزو مصطفى : نظريات الشعر عند العرب ص 172 .

⁶ الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 248 .

⁷ المرجع السابق ص 206 .

⁸ ضيف شوقي : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف - مصر ط 2 ص 194 .

مضطربا كيف شاء واسعا ، و مددا من المعاني متتابعا و يكون كالمغتترف من عد لا ينقطع و المستخرج من معدن لا ينتهي " ¹

و ينتقل بعد هذا السرد الطويل بفضل المبالغة لزم الاقتصار على الحقائق و التقيد بقوانين العقل فيقول : " فهو فيه كالمقصود المداني قيده و الذي لا تتسع كيف شاء يده و أيده ، ثم هو الأكثر سردا على السامعين معاني معروفة و صورا مشهورة ، و يتصف في الأصول هي و إن كانت شريفة فإنها كالجواهر تحفظ أعدادها و لا يرجى ازديادها ، و كالأعيان الجامدة التي لا تنمو و لا تزيد و لا تريح و لا تفيد كالحسناء العقيم و الشجرة الرائقة لا تمتع بجنى كريم " ²

و من خلال هذا يبدو الجرجاني مدافعا مستميتا عن التخييل و الإغراق ، لكنه بعدها ينقلب كليا ، ليفضل نقيض كل ذلك ، و ينسلخ عن آرائه السابقة ليقول : " و ما كان العقل ناصره ، و التحقيق شاهده ، فهو العزيز جانبه ، المنيع مناكبه ، و قد قيل الباطل مخصوم و إن قضي له ، و الحق مفلح و إن قضي عليه ، هذا و من سلم أن المعاني المغرقة في الصدق ، المستخرجة من معدن الحق في حكم الجامد الذي لا ينتمي و المحصور الذي لا يزيد " ³

و يضرب مثلا لذلك بقول أبي فراس الحمداني :
مراميها فراميها أصابا و كنا كالسهم إذا أصابت

" ألسنت تراه تعليا في نسبه معترفا بقوة سببه ، و هو على ذلك من فوائد أبي فراس التي هو عذارها ، و السابق إلى إثارة سترها " ⁴

و يعود لينفي ما أثبتته سابقا من أن الإغراق يوسع مجال الشعر و يفتح أبوابا جديدة بل يثبت عكس ذلك تماما ليقول : " ليس الأمر على ما ظنه ناصر الإغراق و التخييل الخارج إلى أن يكون الخبر على خلاف المخبر من أنه إنما يتسع القال و يفتن و تكثر موارد الصنعة و يغزر ينبوعها ، و تكثر أغصانها و تتشعب فروعها ، إذا بسط من عنان الدعوى فادعى ما لا يصح دعواه ، و أثبت ما ينفيه العقل و يأباه " ⁵

كان موقف يحيى بن حمزة العلوي أكثر وضوحا فقد بدأه بعرض كل وجهات النظر و حججها بداية بالمذهب الرافض لها إطلاقا ثم المذهب الذي يراها بيت القصيد ، و أخيرا المذهب الوسط و الاعتدال فلا يرفضها رفضا تاما و لا يقبلها على علاتها ، ثم يبين وجهة نظره الخاصة فمن عاب المبالغة فقد أخطأ فهي في أعلى مراتب البيان لورودها في الذكر الحكيم ، و كذلك من قبلها على الإطلاق ، فقد أخطأ أيضا لأنها أحيانا تخرج عن الحد لتصف ما لا وجود له و ما لا يمكن تصوره " ⁶ لكن خير الأمور أوسطها ، فما كان من

¹ الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 250 - 251 .

² نفسه: ص 251 .

³ الجرجاني عبد القاهر : أسرار البلاغة ص 251 .

⁴ نفسه: ص 251 .

⁵ نفسه: ص 252 .

⁶ العلوي يحيى بن حمزة : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز 3 ص 117 - 119 .

الكلام جاريا على حد الاستقامة من غير إفراط و لا تفريط فهو الحسن لا مرء فيه فيكون فيه نوع من المبالغة من غير خروج و لا تجاوز حد " ¹ و يعجب بعد ذلك بأبيات حسان بن ثابت في مدح الصدق حين يقول :

و إنما الشعـر لب المرء يعرضه
فإن أشعـر بيت أنت قائله
و يذم بيته الذي غابت منه المبالغة :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي و أسيافا يقطنن من نجدة دما²
هو بذلك يكون قد تعرض لوجهتي النظر ليتمكن القارئ من الحكم الصواب " فعرفت بما ذكرناه أن الكلام متى عري من استعمال المبالغة كان مذموما ، نازل القدر ، فينحل من مجموع ما ذكرنا مما هنا معرفة ما يقبل في المبالغة و ما يرد ، و ما يكون محمودا أو مذموما بما قررناه و الله أعلم بالصواب " ³

كان ابن حجة الحموي (ت 838 هـ) أكثر تنظيما و وضوحا فبعد تعريف موجز للغلو يقر أنه نوعان مقبول و غير مقبول ، و لكي يدخل الغلو في دائرة القبول لا بد من تقفي أداة التقريب ، و هو الشرط الذي يضعه ابن حجة للتفريق بين النوعين ، إلا أن يكون في مدح النبي صلى الله عليه و سلم⁴.

كما أن التخييل الحسن يجري مجرى ثاد ، فإن أورد في الغلو كان مقبولا .
و يتبع ابن حجة النظرية بالتطبيق فيضرب عدة أمثلة للغلو المقبول كقول أبي العلاء المعري :

تكاد قسيمة من غير رام
تكاد سيوفهم من غير سل
تمكن في قلوبهم النبالا
تجد إلى رقابهم إنسلا⁵
كما أن مراتب الغلو غير المقبول تتفاوت إلى أن تصل حد الكفر⁶.

فقول أبي نواس :

فلما شربناها و دب دببها
مخافة أن يسطو على شعاعها
إلى موضع الأسرار قلت لها قفي
فيطلع ندماي على سري الحفي
غير مقبول لأنهم " قالوا : إن سطوة شعاع الخمر عليه ، بحيث يصير جسمه شفافا يظهر لنديمه ما في باطنه لا يمكن عقلا و لا عادة⁷.
أما قول ابن دريد :

مارست من لو هوت الأفلاك من
جوانب الجو عليه ما شكا
فهو كفر ، فقد " قيل أنه لأجل هذا البيت ، و الادعاء العظيم الذي ادعى فيه أبتلي بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه " ¹

¹ نفسه : ج 3 ص 119 - 120 .

² العلوي يحيى بن حمزة : الطراز ج 3 ص 120 - 121 .

³ نفسه ج 3 ص 121 .

⁴ الحموي ابن حجة : خزانة الأدب و غاية الأرب ، شرح عصام شعيتو ، دار مكتبة الهلال - بيروت ط 1 - 1987

ج 2 ص 16 .

⁵ نفسه : ج 2 ص 16 .

⁶ نفسه : ج 2 ص 18 .

⁷ الحموي ابن حجة : خزانة الأدب ج 2 ص 18 .

و كان الخطيب القزويني قد ذكر هذه التفصيلات قبل ابن حجة ، و زاد في أسباب قبول الغلو ما أخرج فخرج الهزل و الخلاعة كقول أحدهم :
أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غــــدا إن ذا مــــن العجب ²
و يتكرر نفس الموقف و نفس الشواهد عند الشراح بعده ³.

¹ نفسه : ج 2 ص 18 .

² القزويني الخطيب : التلخيص في علوم البلاغة ص 374 .

³ القزويني الخطيب : كتاب الإيضاح ج 4 ص 361 - 369 .

التافتازاني سعد الدين: مختصر العلامة سعد الدين التافتازاني الأعلى تلخيص المفتاح للقزويني ج 4 ص 361 - 369 .

المغربي ابن يعقوب : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ج 4 ص 361 - 369

السبكي بهاء الدين : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ج 4 ص 361 - 369

الدسوقي: حاشية الدسوقي على شرح السعد ج 4 ص 361 - 369 .

ضمن شروح التلخيص : طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر .

الفصل الثاني

الدراسة البلاغية

1 . أسباب الغلو

2. الغلو عند أرسطو

3. جماليات الغلو

لا تولد الظواهر الأدبية فجأة بل تظهر تدريجيا إلى أن تعم، و الغلو لا يشذ عن هذه القاعدة،فهو إن وجد بصورة متفرقة في العصر الجاهلي فقد أخذ بالتنامي و البروز إلى أن أصبح ظاهرة أدبية في العصر العباسي.

وبعد التعريف و بيان مواقف النقاد منه،لابد من البحث في أسباب الانتشار و هي أول نقطة في الفصل القادم.

أولا : أسباب الغلو

كان العصر الجاهلي عصر البساطة والوضوح في كل شيء وهذا ما انعكس على الشعر فكان واضحا خاليا من التعقيد لأنه ببساطة كان مرآة عاكسة لحياة قائله يرسم خطوطها بصدق " وقد فطرهم على ذلك صرامتهم مع أنفسهم تلك الصرامة التي لا بد أن تكون قد تسالت إلى نفوسهم من حياة البادية ، فالبادية واضحة مكشوفة لا أدغال فيها ولا أحراش ، بل ولا بحار تطوي بين أمواجها أسرار من طوتهم من راكبي ظهورها ، والسماء بعد ذلك صحو ، والشمس نهارة ، والقمر ليلا ، لا تكاد تترك بالبادية حجرا بل لا حبة رمل حتى تجعلها تتوقد نارا ونورا وأخيرا يأتي دور الخيمة – التي يولد فيها العربي ويموت – فهي تلقته دروسا لا تنتهي في الوضوح والصرامة وذلك بفضل حوائطها الرقيقة التي لا تكاد تخفي شيئا عن أعين الناس ...

وتبدو أثار تلك النزعة عند العرب في البعد عن المبالغة والإغراق وتوفي القصد في المدح والقصص ، اقرأ ما شئت من الشعر فسترى دقة شديدة والتزاما ما للحقائق " ¹ .
لكن الحال لم يدم ، وشهد الشعر العربي تحولا كبيرا في العصر العباسي ، وأصبحت المبالغة طابعا مميزا له ، فلم يعبر عن الحياة ، ولم يعد يعكس البساطة والوضوح ، ولم يعد يلتزم الحقيقة.

ولا بد لهذا التغيير من أسباب فلا يمكن أن يقرر الشعراء فجأة انتهاج المبالغة لأن التحول الأدبي لا بد له من ممهّدات ولا بد أن يتوفر له الزمن الكافي ولا يمكن أن يُخلق من العدم. فالغلو قد وُجد في العصر الجاهلي وإن كان نادرا ، وكمثال عليه بين النابغة السابق :
تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباب ²
وكقوله أيضا :

إذا ارتعنت خاف الجبان ارتعائها ومن يتعلّق حيث علّق يفرق ³

والنابغة معروف بتفضيله للمبالغة عند نقده لحسان بن ثابت في البيت الذي يقول فيه :
لنا الجفّنات الغرّ يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما ⁴
فالنابغة لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو ⁵ .
كما وجدت أبيات متفرقة عند باقي الشعراء يمكن أن تحصى ولا يمكن أن تشكل اتجاها أو ظاهرة كقول الأعشى :

وإذا تجيء كثيبة ملمـــــومة خرساء تغشي من يذود نهالها
تأوي طوائفها إلى مخضـــــرة مكروهة يخشى الكماة نزالها

¹ الكفراوي محمد عبد العزيز : في الشعر العربي بين الجمود والتطور، دار النهضة – مصر للطبع والنشر ، القاهرة ط 4 ص 19 .

² ديوان النابغة، الديوان ص34

³ نفسه ص83

⁴ ابن ثابت حسان، الديوان ص206

⁵ ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر ص61

كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطاها¹

ولم يختلف الشعر الإسلامي بعد ذلك عن الجاهلي كثيرا في هذا الأمر ، فالأصل التزام الحقيقة والغلو يرد قليلا كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا _____
لكن ذا الرمة يؤكد خلو شعره من المحال حين يقول :

و شعر قد أرقى له طـريق أجنبه المساند و المحالا² .
فيضم المحال إلى المساند وهي عيوب القافية في الشعر.

يتغير الأمر كلياً في العصر العباسي ، ويكثر الغلو في الشعر ولم يعد مجرد أبيات ترد عفواً ، ويمكن تلخيص أسباب ذلك " بأن العصر العباسي اجتمع له تراث الجاهلية والإسلام وورث ثقافات مختلفة - كما سيتضح لنا - وقد تفاعلت هذه الثقافات وأثمرت لدى شعرائه ومن ناحية أخرى كان العصر العباسي عصر المبالغة في كل شيء والشعر نوع من النشاط الإنساني ، يطرأ عليه ما يطرأ على أنواع النشاط الأخرى " ³.

يمكن حصر أسباب الغلو إذن في محورين أساسيين :

- أسباب حضارية.
- أسباب نقدية.

أ : الأسباب الحضارية

وتشمل كل ما طرأ على الحياة العباسية من تغيير سواء أكان في نظام الحكم ، أم في مظاهر الحياة الاجتماعية أو العائدات اليومية مما أثر على الشعر ، وكان سببا في بروز الغلو ، فالعلاقة وطيدة بين الحياة الاجتماعية والشعر وعلى " رأي هربرت ريد أن هذه الصلة ليست مقصودة ولا متكلفة ، ولكنها تلقائية ، فالفن مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي المتعددة ، فإذا جرى على تلك المظاهر تغيير أو تبديل تبعاً لضرورة ملحة ، فمثل هذا التغيير يجري على الفن أيضاً ما دامت كل المظاهر قائمة على أساس دين هي واحدة ومن ثم كان تغيير المجتمعات تغييراً متكاملًا دائماً " ⁴.

والمجتمع العربي قد تغير كلياً في العصر العباسي ففقد بداوته وجمع أسباب الحضارة المترفة واختلط بالأمم التي سبقته إليها فأخذ ما عندها وأضاف إليها اجتهاده فهو عصر مختلف تماماً ، لم يعد فيه مكان للوقوف على الأطلال وتعداد الأثافي والنؤي ، ولا مكان فيه للتنشيب بالسيف والأسد وصور الشاعر الجاهلي المستمدة من الصحراء ، لم تعد الحياة بتلك العفوية والبساطة ، واختفت الخيمة لتحل محلها القصور الفخمة والرياض الخضراء الواسعة وظهرت أبهة الملك وفخامة الدولة والجيش ومظاهر الولاء والطاعة للخليفة والأمير والوزير ، وولد هذا التغيير الجذري " حياة جديدة مختلفة كل الاختلاف عن

¹ الأعشى ، ميمون بن قيس : الديوان ، شرح محمد محمود ، دار الفكر اللبناني بيروت 1996/1

² ذو الرمة ، غيلان بن عتبة : الديوان دار صادر بيروت دون تاريخ ص 162

³ الفيل توفيق ، القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز ، مطبوعات جامعة الكويت ص 1423 .

⁴ سويف مصطفى : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف مصر ص 5.

⁴ اسماعيل عز الدين : التفسير النفسي للأدب ، دار العودة - بيروت ط 4 / 1981 ص 32 - 33 .

مرّ ذكر المعزّ أو أحد من أهله أوماً بالسجود ، ولما أسند القضاء أيضا في عام 398 هـ / 1008 م إلى مالك بن سعيد الفارقي قرئ سجله بالقصر وهو قائم على رجليه ، وكان القاضي كلما مرّ ذكر الحاكم في السّجل قبل الأرض ، وقد أمر الناس في الحرمين في إحدى السنين أن يقوموا عند ذكر هذا الخليفة ، وكان إذا ذكر في الأسواق ومواضع الاجتماع بمصر قام الناس وسجدوا " ¹.

وهذا التقديس ظهر شعرا على شكل غلو مفرط ، رفع الخليفة إلى مرتبة الخالق أحيانا أو نسب إليه قدرات خارقة تفوق البشر العاديين كتصوير أبي العتاهية للمهدي :

يا ناق خذي بنا ولا تهني	نفسك مما تـرين راحات
حتى تنافي بنا إلى ملك	توجه الله بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه	تاج جلال وتاج أخيات
يقول للريح كلما عصفت	هل لك يا ريح في مباراتي ²

فالمهدي في هذه الأبيات ملك ولم يصفه بصفته الإسلامية كخليفة أو صفته الرسمية كأمير المؤمنين ، لكنه ملك توجهه الله بالمهابات وعليه تاجان : تاج ملك وتاج أخيات ويتحدى الريح ، فلو أنه سابقها لأنتصر عليها.

تنافس الشعراء في بلوغ رضا الممدوح وكانت الوسيلة الوحيدة للوصول إليه الغلو " كانوا يتنافسون بعنف فيما بينهم للوصول إلى أبواب هؤلاء الحكام الذين وجدوا في شعر الشعراء متنفسا لأهوائهم وتحقيقا لمطامعهم ومن هنا شغل شاعر هذا القرن - يقصد القرن الرابع الهجري - نفسه وأجهد عقله لنظم أكبر قدر ممكن من قصائد المدح في سيده وأثقل كاهله في البحث عن معان ترفع من قدر ممدوحه وتصفه في مرتبة فوق كل مناوئيه وخصومه السياسيين في داخل الدولة وخارجها " ³ ، وانعدم الذكاء والفطنة من الحكام وحل محلها الغرور والتباهي.

ومما يروى عن الوزير صاحب بن عباد - ت 385 هـ - في هذا الشأن أنه :

" يعمل في أوقات كالعيد والفصل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم ، ويقول له : قد نحلّتك هذه القصيدة ، امدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من المنشدين ، فيفعل ذلك أبو عيسى ، وهو بغدادي محكك ، قد شاخ على الخدائع وتحكك ، وينشد فيقول صاحب عن سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تحيير :

أصد يا أبا عيسى : فإنك والله مجيد ، زه يا أبا عيسى ! قد صفا ذهنك ، وزادت قريحتك وتنقحت قوافيك ، ليس هذا من الطراز الأول ، حين أنشدتنا في العيد الماضي ، مجالس تخرّج الناس ، وتهب لهم الذكاء ، وتزيدهم الفطنة ، وتحول الكودن عتيقا والمحمر بوادا ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنية وعطيّة هنيئة ، ويغايظ به الجماعة من

¹ متر آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريّة ، الدار التونسية للنشر - تونس / المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر 1405 هـ / 1986 م ، جزء 1 / ص 238 .

² موافي عثمان : التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية ، ديسمبر 1973 م ص 147 .

³ أبو حاتم نبيل خليل : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال بيتيمة الدهر ، دار الثقافة - الدوحة ، 1405 هـ / 1985 م ص 119 .

الشعراء وغيرهم ، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراعا ولا يزن بيتا ، ولا يذوق عروضاً والذي غلطه في نفسه ، وحمله على الإعجاب بفضله والإستبداد برأيه أن لم يجبه قط بتخطئة ، ولا قبل بتسوئة ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيدنا ، وصدق مولانا ، والله درّه ما رأينا مثله ! من ابن عبد كان مضافاً إليه ؟ ومن ابن ثوابة نقيسة عليه ؟ ومن ابراهيم بن العباس الصولي ؟ ومن صريع الغواني ؟ ومن أشجع السلمي ، إذا سلك طريقهم ؟ وقد استدرك مولانا على الخليل في العروض ، وعلى أبي عمرو ابن العلاء في اللغة ، وعلى أبي يوسف في القضاء ، وعلى الإسكافي في الموازنة ، وعلى ابن نويحت في الآراء والديانات ، وعلى ابن مجاهد في القراءات ، وعلى ابن جرير في التفسير ، وعلى أرسططاليس في المنطق ، وعلى الكندي في الحذق ، وعلى ابن سيرين في العبارة ، وعلى أبي العيناء في البديهة ، وعلى ابن كعب في الفردوس ، وعلى عيسى بن كعب في الرواية ، وعلى الواقدي في الحفظ ، وعلى النجار في البذل ، وعلى ابن ثوابة في التفقية ... ، فتراه عند هذا الهدر وأشباهه يتولى ويبتسم ، ويطير فرحاً به وينقسم ، ويقول : ولا كذي ، خمرة السبق لهم ، وقصرنا أن نلحقهم أو نفقو أثرهم ، وهو في ذلك يتشاجى ويتحاكى ، ويلوي شذقه ليبتلع ريقه ، ويرد كالآخذ ، ويأخذ كالمتنع " ¹.

والصاحب بن عباد مثال عن بعض حكام ذلك العصر الذين كان على الشعر مجاراتهم في رغباتهم والتعلق لهم ليكون مقبولا وينال مكانة اجتماعية مرموقة فلم تعد العبرة في الجودة والجزالة والرونق ، بل أصبحت مقدار المبالغة التي ترفع السيد فوق المستوى البشري ، فلم يعد الشعراء كالأنبياء وتغيّرت وظيفة الشعر ولم تعد تنطبق عليه الصفات التي أطلقها عليه ابن خلدون - ت 808 هـ - حين قال : " واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلاً يرجعون إليه في كثير من علومهم وحكمهم " ².

كما يذكر ابن خلدون بعد ذلك كيف انحط الشعر وفقد مهمته : " ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وإنما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الأغراض كما فعله حبيب والبحثري والمتنبي وابن هانئ ومن بعدهم وهلم جرا فصار غرض الشعر في الغالب إنما هو الكذب والإستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للأولين كما ذكرناه آنفاً وأنف منه لذلك أهل الهمم والمراتب من المتأخرين وتغيّر الحال فيه وأصبح تعاطيه هجنة في الرئاسة ومذمة لأهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار " ³.

بعد أن كان للشعر مهمة تعليمية توجيحية أولاً ثم نفعية ثانياً في الجاهلية والعصر الإسلامي ، انقلبت الآية في العصر العباسي ورجحت كفة الميزان لصالح الطبقة الحاكمة فأصبح الشاعر تابعاً لمزاج الحاكم إذا أراد مدافعاً عنه ، عاداً لخصاله ، خصماً لأعدائه ، أو إذا أراد جليساً للتسلية والمتعة الشكلية البحتة وكان لا بد على الشاعر من اتباع هذه الوجهة رغبة أو رهبة. " فلم يكن الحكام ليتقبلوا من الشعراء إلا كل ما يقوي مهابتهم في نفوس المحكومين ، ويعمل على تضخيم صورهم في أوهام الرعية ، ولم يكن الشعراء

¹ متر آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 1 ص 181 - 182 .

² ابن خلدون، عبد الرحمان : المقدمة ، دار الفكر العربي - بيروت ط 1 / 1997 ص 442 .

³ نفسه: ص 453 .

بقادرين على المساس بهذا المطلب ، لأن ذلك سيؤدي بهم في بعض الأحيان إلى اللحاق باللطيف الخبير ، أو إلى الدخول في غياهب السجون ، أو إلى معاناة شظف العيش وقسوته على أقل تقدير " ¹.

لم يكن تصوير الشعراء للحكام غلوا دائما فأحيانا كانت حياتهم مترفة لدرجة لا تصدق ، فما ذكره ابن خلدون عن محمد بن عبد الحميد " بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نَقَلْتُهُ من جراب الدولة (غلات السود) سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ، ومن الحلل النجرانية مائتا حلة ، ومن طين الختم مائتان وأربعون رطلا (كنكر) أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وستمائة ألف درهم (كور دجلة) عشرون ألف ألف درهم وثمانمائة درهم (حلوان) أربعة آلاف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ، (الأهواز) خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل (فارس) سبعة وعشرون ألف ألف درهم ، ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ، ومن الزيت الأسود عشرون ألف رطل ... " ² ولا بد أن يقابل هذا الدخل الكبير نفقات كبيرة فيما يجب وفيما لا يجب فقد ذكر صاحب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جانباً منها فقال : " وكانت نفقات دار الخلافة عظيمة جدا ، فكانت نفقات المطابخ والمخابر عشرة آلاف دينار ، وكان يطلق في كل شهر في جملة نفقات المطبخ لثمن المسك وحده ثلاثمائة دينار ، مع أن الخليفة لم يأكل طعاما فيه مسك ، ... وكان يصرف للسقائين مائة وعشرون دينارا في الشهر ، ومائتا دينارا لثمن الشمع والزيت وثلاثون دينارا للأدوية وثلاثة آلاف دينار لنفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب وحوائج الوضوء والحمام ، ونفقات خزائن السلاح " ³.

ولم يكن الشعراء بمعزل عن هذا الترف والنعيم فقد نالهم منه جانب كبير ، فقد كان المداحون منهم في عداد الأغنياء ، فعطايا الخلفاء والوزراء كانت فوق الوصف ، فالبرامكة على سبيل المثال : " كانوا إذا كسبوا معدما فإنما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده يوم أو بعض يوم " ⁴.

يؤدي الترف دائما إلى انتشار المجون ، فالمال إذا زاد عن الضروريات ، صُرف في الكماليات وكذلك الحرية الفكرية التي شجعها بعض الخلفاء أدت إلى انتشار مذاهب وعقائد غريبة عن المجتمع الإسلامي نُقِلت إليه من الأمم التي تعامل معها ، فظهر نوع من التحلل والتفسخ الأدبي في أوساط الكتاب والشعراء والأدباء مثلما يمكن أن يحدث في أي ظرف زمني مشابه ، ومن ثم فلم يبق الغلو منتصرا على التخيل الكاذب المجافي للحقيقة والصدق ولكن صار أسلوبا يستعان به على صوغ معاني الانحراف عن القيم الخلقية والاستهتار بمبادئ الدين والعقيدة " ⁵.

لم يكن الترف والتحول الفكري السببان الوحيدان في انتشار المجون ، فلا بد أن يضاف إليهما سبب لا يقل أهمية عنهما وهو انتشار الإماء بصفة واسعة ، فقد تعددت أصول الجواري من فارسيات أو روميات ... كما تعددت مواهبهن فكن أدبيات ومغنيات

¹ مومني قاسم: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ، 1982 ص 310 .

² ابن خلدون : المقدمة ص 127 .

³ متر آدم : الحضارة الإسلامية ج 1 / 247 .

⁴ ابن خلدون : المقدمة ص 127 .

⁵ عيكوس الأخضر : ظاهرة البديع ص 333 .

وإليه يُرجع طه حسين انتشار المجون في العصر العباسي ، فيعقد مقارنة بين الشعراء الإباحيين في العصر الجاهلي والإسلامي والشعراء الإباحيين في العصر العباسي فيصل إلى خلاصة يقول فيها : " كان في جاهلية العرب وصدر الإسلام وأيام بني أمية شعراء يحبون الفتك ، ويتحدثون به ، فلا مرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة في ذلك شعر كثير ، ولكن هؤلاء الشعراء كانوا يؤثرون العفة وحسن القول ، حتى في الفتك والفحش ، وكان شعرهم الفاحش قليلا جدا ، بالقياس إلى شعرهم العفيف ، وكان الشعراء الصادقون في الحب ، المؤثرون للعفة والطهارة في كل ما يقولون ، كثيرين جدا بالقياس إلى هؤلاء الشعراء الفاتكين ، ذلك لأن سلطان الإمام كان ضعيفا جدا ، أو لم يكن موجودا في هذه العصور ، ولأن الرجال الأحرار كانوا يؤثرون كرامتهم على لذاتهم ، فكانوا يؤثرون نساءهم على إيمانهم ، أما في أيام بني العباس فقد تغيرت الحال تغيرا شديدا ، كثر الإمام كثرة فاحشة ، وتفوقن تفوقا فاحشا ، في الأدب والشعر والغناء ، وفي ضروب الزينة واستهواء الرجال ، وتغيرت أخلاق الرجال فتهالكوا على اللذة واستبقوا إلى الشهوات فكان هذا الفساد العظيم ، الذي يمثله غزل أبي نواس بالنساء والغلمان " ¹.

يظهر من كل هذا مقدار تأثير الأجانب وخصوصا الفرس في الحياة العباسية وفي الشعر العباسي ، وكثير من الشعراء العباسيين لم تكن أصولهم عربية ، فعلاوة على محاولتهم نشر مذاهبهم وعاداتهم تعصبوا لأصولهم فظهرت الشعوبية التي لم تكتف بمهاجمة الفضائل العربية ، بل راحت تعمل على تفسيح القيم الخلقية العربية الإسلامية ، فأكثروا من الشراب والمجون ، وجأهروا بالخلاعة والانحراف الجنسي واعتبروا ذلك نوعا من التحرر ومثلا في الظرف " ² ، وظهر الغلو في شعرهم الماجن وشعرهم الشعوبي – إن صح التعبير – الذي هاجموا فيه ، وأبو نواس الذي يعد إمام مذهبهم يُعدّ كذلك من أكثر الشعراء غلوا الذين مهدوا سبيله لباقي الشعراء والدكتور شوقي ضيف ينفي عن ثورة أبي نواس صفة الجنسية بل يصفها بالثورة الحضارية " ثورة الحضارة الفارسية وكل من اتصل بها من فهم ومجون على العرب وحياتهم الإسلامية وهو يثور في ضجيج وعجيج وصياح وهجوم على الشعر وتقاليد " ³ وقد حفظ ديوانه العديد من القصائد التي ذم فيها العرب أو الشعر العربي فما قاله مفضلا الحياة الجديدة على البادية :

دع الأطلال تسقيها الجنوب	وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضا	تخبّ بها النجبية والنجيب
بلاد نبتها عشـر وطلح	وأكثر صيدها ضبع وذئب
فلا تأخذ عن الأعراب لهوا	ولا عيشا فعيشهم جديب
دع الألبان يشربها رجال	رقيق العيش بينهم غريب
إذا راب الحليب قبل عليه	ولا تخرج فما في ذلك حوب ⁴

¹ حسين طه : حديث الأربعاء ، ط9 دار المعارف – مصر 1968 ج 2 ص 105 .

² الدوري عبد العزيز : الجذور التاريخية للشعوبية ، دار الطليعة – بيروت 1981 ط 3 ص 85 .

³ ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف – مصر ط 8 ص 99 .

⁴ أبو نواس الحسن ابن هانئ : الديوان ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ص 11 .

لا تحتاج هذه الأبيات إلى تعليق فكل ما فيها ذم للحياة البدوية فالأطلال لا تهم ولتغطها الرياح والإبل رغيغ العربي في رحلاته كذلك فقدت قيمتها ولا يعرف الأعراب اللهو وحياتهم جدية صعبة يهتمون بنباتات صحراوية ويصطادون الضباع والذئاب ويشربون اللبن ولا يعرفون الترف ، وينتقل أبو نواس بعد ذلك إلى وصف الخمر والإشادة بها وبساقها ويختم قصيدته بمقارنة بين حياة الأعراب وحياة الفرس.

فهذا العيش لا خيم البوادي وهذا العيش لا اللبن الحليب
فأين البدو من إيوان كسرى وأين من الميادين الزروب
غررت بتوبتي ولججت فيها فشقي اليوم جيبك لا أتوب¹

أبو نواس في خاتمة القصيدة يضع قواعد حياته ، فالحياة بين الحانات والساقين لا حياة البادية والخمر لا الحليب ، ولا يمكن المقارنة - حسبه - أبدا بين إيوان كسرى وميادينه وبين خيام الأعراب ومراعيهم.

يرى طه حسين في حديث الأربعاء أن أبا نواس كان على حق فلا يجب أن تتغير الحياة ويبقى الشعر على حاله فالشاعر الذي يسكن قصرا ببغداد غير الشاعر الذي يسكن خيمة بنجد ، فيقول : " ولولا ما نعرفه سيرته وإدمانه ، لكان من الحق أن نشك في أنه من اللهو والمجون بحيث يصف نفسه ، وأن نتساءل أليس هذا الغلو والإسراف أثرا من آثار التعصب لمذهبه الجديد ؟ على أن هذا التعصب الجديد ، على حسنه واستقامته وعلى أن أبا نواس موفق فيه ، لم يسلم من أشياء تمكننا من أن نفهم بعض الناس ، ونعيهم عليه فهو ليس مذهبا شعريا فحسب ، وإنما هو مذهب سياسي أيضا ، يذم القديم ، لا لأنه قديم - بل لأنه قديم ولأنه عربي ويمدح الحديث - لا لأنه حديث بل لأنه حديث ولأنه فارسي ، فهو إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب " ².

ب : الأسباب النقدية

دعا النقاد العرب القدامى الشعراء إلى الالتزام بعمود الشعر و عدم الخروج عن المعاني والأساليب القديمة بل هناك منهم من دعا إلى المدح أو الرثاء أو الهجاء بصفات بعينها³ و كاد هذا الأمر أن يؤدي بالشعر إلى الدوران في حلقة مفرغة من التكرار العقيم لصور لم يعد لها وجود في حياة الشاعر فهل يمكن لشاعر عباسي عاش في بغداد بين قصورها و حدائقها أن يصف أطلال نجد و هو لم يشاهد لا نؤيا و لا أثافيا، الشاعر العباسي عاش حياة مستقرة لا يعرف فيها معنى الرحلة و لم توجد بينه و بين الناقاة تلك العلاقة الحميمة ليصفها بشغف كما فعل طرفة ابن العبد مثلا.

لكن الناقد القديم لم يحاول مراعاة التغير الجذري الذي حصل بل على العكس اتخذ الشعر القديم مرجعيته الوحيدة في تحديد القيم الجمالية للشعر فكل ما قاله الشاعر القديم جميل و كلما اتبعه الشاعر المحدث كان قريبا من الجمال فللفظ شروط و للمعاني مقاييس و لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يسامح الناقد الشاعر إذا تعداها فلا بد له أن يصف الممدوح المثال

¹ أبو نواس : الديوان ص 12 .

² حسين طه : حديث الأربعاء ج 2 ص 90 .

³ مندور محمد : النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة - مترجم عن الأستانيين لانسون و ماييه ، دار نهضة مصر الفجالة ، القاهرة ، دون تاريخ ص 323 - 326 .

و المرأة النموذج حتى لو كان ذلك مخالفا تماما للواقع ¹. "و يرى نقاد العرب أن الشعراء القداماء لم يكونوا في حاجة كثيرة إلى الصنعة ليكتسب شعرهم حسنه بل إن حسن البداوة كما يقول المتنبي حسن غير مصنوع و الأساس أن الشعر القديم قد فاز بكل شيء و لم يبق للمحدثين شيئا فسد في نظرهم طرق التعبير و لم يجدوا أمامهم غير الصنعة أو التصنيع ليكسبوا شعرهم شيئا من الطرافة و الرونق" ² وفي الواقع هذه الفكرة ليست جديدة تماما و لا وليدة العصر العباسي بل تعود أصولها إلى الشعر الجاهلي نفسه فعنتر ابن شداد قال :
 هل غادر الشعراء من متر دم
 أم هل عرفت الدار بعد توهم ³
 و كذلك قال زهير بن أبي سلمى .

ما أرانا نقول إلا معارا
 أو معادا من لفظنا مكرورا ⁴

فإذا كان هذا حال الشعراء الجاهليين مع المعاني فما عسى الشاعر العباسي يقول ؟ و هو الذي واجه ضغوطا شديدة من النقاد للالتزام بالنهج القديم وشاعت فكرة استنفاد المعاني ، و لم يعد أمام الشاعر إلا اللفظ ليحوره و يغيره ، فالجاحظ قال في الحيوان : "و قالوا لم يدع الأول للأخر معنى شريفا ، ولا لفظا بهيا إلا أخذه إلا بيت عنتر : فترى الذباب . . . " ⁵
 و بعده التمس القاضي الجرجاني العذر للشاعر المحدث فالمعاني قد نفذت فقال : " و متى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة و أبعد عن المذمة لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني و سبق إليها ، و أتى على معظمها " ⁶ و لم يعد للمحدثين ما يقولونه ، فكل معنى جميل قد طرق أو ربما استهلك وإذا " أتعب خاطره و ذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، و نظم بيتا يحسبه فردا مخترعا ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يغض من حسنه " ⁷
 لم تكن فكرة استنفاد المعاني السبب الوحيد في تكرار الصور القديمة بل شيوع مفهوم أن الأسلوب والألفاظ أساس الشعر فالمعاني معروفة للجميع وقد بدأت هذه الفكرة مع الجاحظ حين قال في الحيوان : "أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخثير اللفظ و سهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع، وجودة السبك" ⁸
 و تناقل النقاد بعده هذه الفكرة وأكدوا عليها ⁹.

كما اتخذوا من "تقاليد العرب مقياسا للخطأ والصواب في الشعر و هذه النظرة بلا ريب نظرة تقليدية تضيق على الشعراء مجال القول وتلزمهم التقيد بمعاني السابقين ، وبذلك تمنع كل تجديد ، بل قد تمنع كل صدق ، و تخرج بالشعر كله إلى تجديد الصياغة فحسب " ¹

¹ نفسه :ص 326 .

² سلام محمد زغلول : النقد العربي الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، دون تاريخ ص 78 .

³ ابن شداد عنتر : الديوان اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة - بيروت 1423 هـ - 2003 م ط 1 ص 11 .

⁴ ابن أبي سلمى زهير : الديوان اعتنى به وشرحه حمدو طماس ، دار المعرفة - بيروت دون تاريخ ص 71

⁵ الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون - دار الجبل ، بيروت 1416 هـ - 1996 م ، جزء 3 ص 127 .

⁶ الجرجاني القاضي : الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 214 .

⁷ نفسه :ص 215 .

⁸ الجاحظ : الحيوان ، جزء 3 ص 131 .

⁹ ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 293 .

لم يكن تقنين النقد السبب الوحيد في الوصول إلى هذه النتيجة بل لعب الأسلوب القرآني دوراً مهماً في الحفاظ على الأساليب الشعرية القديمة ، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي كما جاء في سورة يوسف ² وطبعاً تخير القرآن أفضل الأساليب وأفصحها وأجزلها ؛ وبذلك أكسب اللغة العربية قداسة . ولم يعد بإمكان الشاعر الخروج عن هذه التقاليد الموروثة ؛ فالجاحظ مثلاً ، يرفض أي تجديد في المجاز حين قال 'و ليس هذا مما يطرد لنا أن نقيسه ، وإنما نقدم على ما أقدموا ، ونحجم عما أحجموا ، وننتهي إلى حيث انتهوا ³ ، فإذا كانوا قديماً 'يسمون الرجل جملاً و لا يسمونه بعيراً ، ولا يسمون المرأة ناقة و يسمون الرجل ثوراً ، و لا يسمون المرأة بقرة ، و يسمون الرجل حماراً و لا يسمون المرأة أتاناً ، و يسمون المرأة نعجة ، ولا يسمونها شاة ⁴ ، و هذا ما ضيق مجالات المجاز في وجه الشاعر المحدث و جعله يدور في فلك القديم ، إذا حاول الخروج عنه ، وجد الناقد له بالمرصاد فاللغة القديمة هي التي تفسر القرآن الكريم كما وضعه د/مصطفى ناصف قائلاً : " من بين أسباب محافظة النقد العربي على ذوق إستعاري قديم ، الجو الديني الكلامي في تفسير القرآن الكريم ، فقد أصبحت الرجعة إلى اللغة القديمة مسألة يتوقف عليها فهم العقيدة فهما منزهاً ، و كذلك يرتبط المبدأ اللغوي بوقار كبير ⁵ .

كان المخرج الوحيد الذي وجده أمامه البديع ، و بصورة أدق التجديد في الصياغة ، و تحوير المعاني القديمة ، و توليد المعاني المستهلكة و للقاضي الجرجاني لمحة ذكية - كما سماها د/منير سلطان ⁶ -

أن الإفراط الذي وقع فيه المحدثون ، كان من جراء القيود التي فرضت عليهم البديع كان ثورة على المؤلف من المعاني و الصور الشعرية التي لم تعد تنثير المتلقي ، فكان لا بد من الوصول إلى سبل أخرى لتجديد الشعر العربي فكان الغلو أحد هذه السبل ليزيل "الرتابة عن الأشياء ، و يكشف عن علاقات جديدة بين عناصر الوجود ، تقدم لنا عالماً هذا القديم ، و نفوسنا هذه التي تلا بسنا بشكل جديد مدهش ويحرك الفكر و يثير التأمل ، و ينشط الشعور بالغضارة و البكارة ، و يعيد الكائن البشري إلى مكانه من العالم و صلته العميقة بكل مظاهره و ظواهره ⁷ هذا الوصف الشعري هو في الأصل للمجاز ، لكن الغلو جزء من المجاز الذي يجدد اللغة الشعرية و يعيد لها حيويتها و جاذبيتها ، و يكسر الروتين الذي سقطت فيه المعاني جراء التكرار ، فأبو نواس مثلاً - في بيته :

¹ مندور محمد : النقد المنهجي عند العرب ص 325 .

² سورة يوسف آية 2

³ الجاحظ : الحيوان ، جزء 1 ص 212 .

⁴ نفسه: ج1 ص 212.

⁵ ناصف مصطفى : الصورة الأدبية ، دار الأندلس ط 2 1401 هـ - 1981 م ص 96 .

⁶ سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 132 .

⁷ عبد الله محمد حسن: الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف - القاهرة ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دون تاريخ ص 122 .

و أخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق
كان لا بد عليه أن يخرج عن المألوف في وصف الشجاعة كالتشبيه بالأسد ، أو وصف
شدة الضرب و الطعن ، فالتفت إلى إدعاء خوف النطف التي لم تخلق ليكون الممدوح
في قمة الشجاعة و المهابة . فلو مدحه دون هذا الغلو لما كان شعره مميزاً ولما أثار كل
هذا الجدل و النقد حوله ، فأبو نواس هو أحد الشعراء المحدثين الذين ليس همهم "أن
يقولوا أيّ قول، بل همهم أن يبرزوا أقوالهم محلاة بأبهى حلل البيان، موشاة بأروع سمات
الكلام ، وذلك لا يتأتى إلا بالزخرف في العبارة و التتميق في الصياغة ، والتوليد في
المعنى ، والمبالغة فيه و الإحالة إلى حد قد يخرج عن حدود المعروف ، و يبعده عن
آفاق المعقول" ¹

ومن ناحية أخرى أدى اختلاط العرب بغيرهم من الأمم إلى الأصهار و التوالد ،
فنشأ جيل جديد يحمل السمات الأجنبية إلى جانب العربية ، فتغيرت الحياة العقلية العربية
وانفتحت على الثقافات الأخرى من فارسية و يونانية و هندية ، فكان العصر العباسي
"عصر تحضر عميق ، و نظر و فكر ، عهد مدنية تضعف معها قوة الفطرة الشعرية و
تضييق فيها آفاق الخيال مما يوشك أن تصبح معه مدنية عملية بالقياس إلى حالة العصر
بين السابقين لهذا العصر ، فخضع الشعر في ظلالها لما تخضع له كل فروع الحياة من
نظر و فكر و قياس ، و كان حظ العقل فيه أرجح من حظ العاطفة ، وكان نصيب
الصنعة فيه أكثر من نصيب الطبع" ² .

فأصبح للفلسفة مكانتها في الحياة الفكرية ، بعد حركة الترجمة التي قادها السريان ، و
الشرح و التلخيص الذي تكفل به المسلمون ، و لا بدّ أن يتأثر الشعر بكل هذا فنشأت
مدرسة تعبيرية جديدة " لسانها عربي صميم ، و عقلها مزيج من ثقافات الأمم ، و
طابعها حضارة العصر النامية وواقع الحياة المغيّر " ³
انتشرت الأفكار و المصطلحات الفلسفية في الشعر العباسي بصورة ، و قد أصبحت
سمة مميزة لبعض الشعراء كأبي نواس و المتنبي و هما شاعران يوصفان بالغلو ، فما
أورده د/ شوقي ضيف عن النظام أنه سمع أبيات أبي نواس التي يقول فيها :

يا عاقد القلب عني هلا تذكرت حلا
تركت مني قليلاً من القليل أقلاً
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ مذلاً

فقال أنت أشعر الناس في هذا المعنى و الجزء الذي لا يتجزأ من دهرنا الأطول نخوض
فيه ما خرج فيه لنا من القول ما جمعته أنت في بيت واحد" ⁴
و ذكر د/ شوقي ضيف أبياتاً أغرب فيها أبو نواس حتى صورّ الحسي بالمعنوي كقوله :

¹ موسى أحمد إبراهيم : الصبغ البديعي في اللغة العربية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1388 هـ -
1969 م ص 55 .

² البهيتي نجيب محمد : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، دار الفكر مكتبة الخانجي ، دون تاريخ
ص 274 .

³ عيكوس الأخضر : ظاهرة إنتشار البديع في الشعر العربي ومواقف النقاد والبلاغيين منها ، مجلة كلية الآداب - وجدة
المملكة المغربية ، العدد 7 ص 13 .

⁴ ضيف شوقي : الفن ومذاهبه ص 137 .

و قد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يفين كاد يذهبه الشك
و قوله :

و قوله : صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دقّ في ذهن لطيف

فتمشت في مفاصله م كتمشي البرد في السقم¹

و أكد شوقي ضيف أن بعد أبي نواس ،أصبح لزوم المتكلمين و المعتزلة سمة مميزة للشاعر الممتاز ² فالمتنبى مثلا كثيرا ما اتهم بالخروج عن طريق الشعر إلى الفلسفة و هو من العيوب التي صنفها الثعالبي في اليتيمة و أورد له العديد من الشواهد كقوله :

و لا تأمل كرى تحت الرجام
سوى معنى انتباهك و المنام

و أورد تعليقا لابن جني عليه يقول فيه: " أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها " ³

و ابن جني هو المعروف بدفاعه المستميت عن المتنبي و شعره .
يؤكد محمد مندور أن بعض معاني المتنبي لا يمكن الوصول إليها لو لم يكن مثقفا ثقافة
فلسفية كقوله :

ولجأت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بقاء

" فهذا المعنى من معاني الفلاسفة ، و ما نظن أن المتنبّي كان يستطيع أن يصل إليه لو أنه لم يكن مثقفا تثقيفا فلسفيا فهو يعتمد على قول الفلاسفة(إذا زاد الشيء عن حدّه انقلب إلى ضده) فالجود إذا وصل إلى منتهاه كاد أن ينقلب بخلا ، و لئن كان هجوم السرور معنى تملّيه تجاربنا فإن استخدام هذه الحقيقة و تعميمها حتى تشمل الكرم و البخل و أمثالها لا شك رجوع إلى المبدأ الفلسفي العام" ⁴

كما عيب على المتنبي أيضا امتثاله ألفاظ الصوفية فقد قال صاحب عن قوله :
نحن من ضايق الزمان له فيك و خائنه قربك الأيام⁵

"لو وقع في عبارات الجنيد و الشبلي لتنازعه المتصوفة دهرا بعيدا " ⁶
صنّف شوقي ضيف العلم كأحد أسباب انتشار المبالغة ،حيث يرى أنه لم يعمق التفكير الفني و لم يفتح أمامه آفاقا جديدة "و لم يتسرب شيء إلى آثاره و نماذجه ، و لعل من أكبر الدلالة على ذلك ما نراه عند الشعراء من إغرامهم بلون المبالغة وهو لون يخالف تماما طبيعة

¹ ضيف شوقي : المرجع السابق ص 137 - 138 .

2 نفسہ: ص 138

³ الثعالبي: بيتمة الدهر جزء 1 ص 172.

⁴ مندور محمد: النقد المنهجي عند العرب ص 203 .

⁵ يقول : نحن الذين ضايقتم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فحرمتم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك يريد أن الزمان يحبه ويعشقه ويغار على قربه ويريد أن ينفرد به دون الناس .

⁶ الثعالبي: بيتمة الدهر جزء 1 ص 171.

العقل العلمي الذي يميل إلى التحقيق و التدقيق و لا تتجاوز ألفاظه ما يريد التعبير عنه ،
فالشعر كالعلوم الرياضية حقائق و دقة في التفكير و انحياز عن المبالغة و توفيقا بين الخيال
و العقل والتصور والواقع"¹

لا تبدو لي العلاقة واضحة تماما بين العلم و المبالغة و لم يوضح الدكتور كيف أدى إلى
انتشارها ، و الشعر أبعد ما يكون عن العلوم الرياضية ، و الخيال إذا لم يكن في الشعر ،
فإنه لا يكون أبدا ، ثم انتقل الدكتور إلى دَم المبالغة فيقول : "و نحن لا نرتاب في أن الشعر
حين يفضي إلى هذا النوع من المبالغة لا يعبر عن احساس أو وجدان ، إنما يعبر عن نوع
من السقوط الفني ، إذ يذهب الشعراء بعيدا في تصوراتهم و أفكارهم و كأنهم يجنحون إلى
كل إفراط في الشعر و لكننا لا ننسى ، فقد تركنا القرن الثالث إلى قرون التصنع التي لا بد
أن ينحاز شعراؤها إلى كل ما يضيف صعوبة أو غرابة في التعبير"².

هذا التعميم منه فيه جور على المبالغة ، فهي ليست سيئة مطلقا ، بل فيها العديد من الصور
الرائعة ، التي أضافت جمالا للشعر العربي و ثم إن الشعراء مطلوب منهم أن يذهبوا بعيدا
في تصوراتهم ، أفكارهم ، عواطفهم و خيالهم و كما يقول عبد العزيز عتيق : " و للخيال
صلة قوية و ارتباط كبير بالعواطف ، و لهذا فكلما كانت العاطفة قوية احتاجت إلى خيال
قوي يعين على إظهارها و روعتها و يزيد من درجة تأثيرها ، و بالتالي إن ضعف أي
منهما يؤثر أثرا كبيرا في ضعف الآخر "³

بعد عرض أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الغلو في العصر العباسي والتي كان
من بينها ترجمة الفلسفة اليونانية و الفكر الأرسطي خصوصا ، لابد من عرض موجز لرؤية
أرسطو للغلو .

ثانيا : الغلو عند أرسطو

عندما ناصر قدامة بن جعفر الغلو في الشعر ردّ عبارة " أحسن الشعر أكذبه " إلى فلاسفة
اليونان قائلا : " ... وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم " ⁴ دون أن
يحدد فيلسوفا معينا لكن ابن وهب نسب الرأي نفسه لأرسطو تحديدا " للشاعر أن يقتصد في
الوصف أو التشبيه أو المدح أو الذم ، وله أن يبالغ ، وله أن يسرف حتى يناسب قوله
المحال ويضاهيه ، وليس المستحسن السرف والكذب والإحالة في شيء من فنون القول إلا
في الشعر وقد ذكر أرسطو طاليس الشعر فوصفه بأنه الكذب فيه أكثر من الصدق ، وذكر
أن ذلك جائز في الصياغة الشعرية " ⁵.

¹ ضيف شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 291 .

² نفسه : ص 292 .

³ عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية - بيروت - 1391 هـ - 1972 م ، ط 2 ص 118 .

⁴ ابن جعفر قدامة : نقد الشعر ، ص 62

⁵ ابن وهب إسحاق : البرهان في وجوه البيان ، ص 185

فهل أن أرسطو أجاز الكذب في الشعر ؟ وللتأكد من ذلك لا بد من العودة إلى مؤلفاته في هذا المجال ، ففي كتاب الشعر ، أكد أرسطو غير ما مرة أن بإمكان الشاعر اللجوء إلى المستحيل في قصائده.

" ومع أن عنصر الروعة ينبغي إدخاله في التراجيديا فإن الشعر الملحمي أشد قبولا لغير المعقول ، لأن الشخص لا يرى وهو يعمل ومخالفة العقل هي أكبر ما يعتمد عليه عنصر الروعة " ¹ ، أرسطو هنا يجيز مخالفة العقل في التراجيديا والشعر الملحمي ، ثم يعود ليؤكد ذلك بأمثلة من الواقع " الأمر العجيب يلذ ، ويكفي لإثبات ذلك أن كل من يروي قصة يضيف إليها بعض العجائب ليسر السامعين ، وقد كان هوميروس خاصة هو الذي علم الشعراء الآخرين كيف يتقنون الكذب " ² هذا الكلام لا يحتاج إلى شرح لكن ما بلفت الانتباه فيه حقا هو أن الكذب في الشعر يحتاج لتعلم إتقانه والذي علمه لباقي الشعراء هو هوميروس الذي قال عنه أرسطو " وإن هوميروس - مع استحقاقه للثناء من نواح كثيرة أخرى - لأعظم به جدارة هو الوحيد من بين الشعراء الذي يعرف ماذا ينبغي أن يكون دوره " ³ وأكتفي هنا بالكلام الذي أورده د / محمود السمرة عن أرسطو و هوميروس : " ومبدأ الغلو هو ما قال به أرسطو في كتابه - الشعر - ومن المأثور عنه قوله : أن هوميروس قد علمنا الكذب بصورة لائقة ، وإذا اعترض معترض بأن وصفه لا يطابق الواقع ، فالجواب هو أنه ليس ضروريا أن يطابق الواقع ، بل أن يطابق خيال الشاعر " ⁴ . وبعد كل هذه الإشارات في كتاب الشعر عن أهمية المبالغة في العمل الأدبي ما يزال الكتاب حافلا بالدعوات المتكررة إلى الغلو في المعنى : " وينبغي أن يؤثر الشاعر استعمال المستحيل المعقول على استعمال الممكن غير المعقول " ⁵ .

ويؤكد نفس الفكرة بعد عدة صفحات : " وينبغي - على العموم - أن يسوغ المستحيل اعتمادا على الصيغة الشعرية ، أو على تحسين الواقع ، أو على الرأي الشائع ، فأما على الصنعة الشعرية فينبغي أن يفضل المستحيل المقنع على الممكن غير المقنع ... وأما عن تحسين الواقع فينبغي أن يكون المثال أفضل وأسمى من الحقيقة ، وأما القول الشائع فننسب إليه ما خالف العقل ، ونحتج أيضا بأن الأمور المخالفة للعقل قد يقبلها العقل ، فإنه من المعقول أن يقع شيء خارج عن المعقول " ⁶ .

ففي سبيل الإقناع يمكن للشاعر أن يؤثر المستحيل على الممكن ، يجب عليه كذلك أن يحسن الواقع ، والعقل قد يقبل أحيانا اللامعقول والتخيل هو الذي يحدث التغيير في العمل الأدبي لإقناع السامع أو لتحسين الواقع وحصر الدكتور بدوي طبانه شرطين ليتحقق ذلك :

1- السمو في التعبير ، أي ألا تكون الألفاظ حقيرة ومبتذلة لأنها لا تخيل في المعنى أمرا زائدا ، أو تخيل تخيلا يسيرا ، أو تخيلا رديئا ، أو يكون التركيب تركيبا فاسدا .

¹ عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر نقل إلي بشر بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة 1387 هـ - 1967 م ، ص 138

² المرجع نفسه ، ص 138 - 140

³ المرجع نفسه ، ص 138

⁴ السمرة محمود : القاضي الجرجاني ، الأديب الناقد ، ص 176

⁵ عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص 140

⁶ المرجع نفسه ، ص 150

2- المبالغة المطلوبة في الأدب والفنون ، فقد تكون الألفاظ المستولية لا تجاوز القدر الذي يحقق المعنى المطلوب في الإقناع ولا تستطيع أن تخيل فيه معنى أعظم مما يحتمل المعنى المقصود تبيينه " ¹.

المحاكاة هي جوهر الشعر عند أرسطو ولا اعتبار للوزن عنده ، وقد عقد مقارنة بين الشعر والتاريخ ليبين مكانة المحاكاة فإذا صيغت أقوال هيرودوس في أوزان فتبقى تاريخاً ولن تتحول إلى شعر ².

والمحاكاة – عند أرسطو دائماً – ليست مجرد تقليد حرفي للطبيعة للوصول لصورة ثانية لها ، بل للمحاكاة ثلاثة أهداف :

- تصوير الأشياء كما كانت أو كما هي في الواقع.
- تصويرها كما يجب أن تكون.
- تصويرها كما يعتقد أن تكون ³.

فصل الدكتور بدوي طبانة هذه السبل الثلاث مع إيراد الأمثلة – من كتاب الشعر- فإذا انتقد الشاعر بأنه لم يصور الأشياء كما هي في الواقع فالرد يكون في أنه صورها كما يجب أن تكون ، لا كما هي في الواقع ، أما إذا سلك الشاعر الطريق الأخير أي صورها كما يعتقد أن تكون كوصف الآلهة ، فلا يمكن الحكم عليها بأنها مطابقة للواقع أو أنها أحسن منه ، لأنها غير معروفة على وجه التحديد ، بل تعارف عليها الناس ⁴.

تصوير الأشياء كما يجب أن تكون يحمل معنى إيراد المستحيل في الشعر و هو خطأ يغتفر للشاعر إذا وصل إلى الإقناع كما ورد سابقاً ، فالبطل التراجيدي يصور أعظم مما هو عليه و البطل الكوميدي يصور أضعف مما هو عليه ، و قد وضح الدكتور عبد العزيز حموده في المرايا المقعرة رؤية أرسطو لكل منهما : " اشترط أرسطو في ذلك البطل – يقصد التراجيدي منهما – أن يكون أكبر من الحياة " Bigger than life " و قد أسس رأيه ذلك على ملاحظاته لروائع المسرح الإغريقي آنذاك ، حيث كان البطل "غير عادي " فهو إله مثل زوس وأبروميثيوس و إما نصف إله مثل هرقل و إما ملك مثل أوديب ، و لهذا يتصف البطل التراجيدي الأرسطي بأنه أفضل مما هو عليه في الواقع " Better than he really is " ... لهذا كانت وظيفة المحاكاة الأرسطية تقدم النبيل أكثر نبلاً أو الشجاع أكثر شجاعة في التراجيديا ، و الخسيس أكثر خسة و الجبان أكثر جبناً في الكوميديا ، مفتاح الشخصية في الفن من منظور أرسطو هو المبالغة إيجاباً و سلباً " ⁵

هذا الحث من أرسطو على المبالغة هل كان له تأثير في البلاغيين العرب ؟

لا شك أن اتصال النقد العربي بالفكر اليوناني كان له أثر كبير في النظرة النقدية العربية ، فالنقد الأدبي ما هو إلا انعكاس للتفكير العام السائد في حينه، والتراث اليوناني قد أضاف الكثير للعرب في المنطق والفلسفة والعلوم والنقد كذلك.

¹ طبانة بدوي : النقد الأدبي عند اليونان ، مكتبة الأنجلومصرية ، الطبعة الأولى ، 1387 هـ - 1967 ، ص 204

² عياد شكري : كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص 64

³ سلام محمد زغلول : النقد العربي الحديث ، مكتبة الأنجلومصرية ، دون تاريخ ، ص 65

⁴ طبانة بدوي : النقد الأدبي عند اليونان ، ص 13 - 131

⁵ حمودة عبد العزيز: المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، ليلة عالم المعرفة عدد أغسطس 2001 ،

لكن المشكلة تبقى قائمة في تحديد مواطن هذا التأثير ومداه، فهل غير النظرة النقدية العربية ؟ أم ساهم في إعادة توجيهها؟ أم أنه أثراها فقط ؟

كان للدراسيين آراء متقاربة في هذه القضية ، فـ جابر عصفور يرى أن الفكر اليوناني قد أسهم " في تعميق الخبرة النقدية عند العرب ، ذلك أن الفلسفة – بمعناها اليوناني الشامل – قد تقدم لدراسها طرائق جديدة للتفكير والتأمل وتمنحه قدرا من رحابة الأفق يجعله أقدر من غيره على اقتراب من طبيعة الظاهرة الأدبية ، وتفهم خصائصها النوعية ، كما أن الفكر اليوناني : كان يضيف خبرات جديدة إلى الوعي النقدي المتأصل في البيئة العربية ، ويقدم لهذه البيئة حولا توصل إليها نقاد آخرون أكثر عمقا ووعيا لكثير من المشكلات الأدبية والنقدية المثارة ، منذ أوائل القرن الثالث الهجري ، وربما قبل ذلك بقليل " ¹ .

كما يؤكد د/ قاسم مومني نفس الفكرة قائلا : " مما يجعلنا نؤكد على أهمية الدور الذي لعبه الفكر اليوناني الفكر اليوناني الشامل – كانت- تضع بين يدي دارسها أساليب جديدة للتفكير والتأمل " ² .

وأكثر ناقدين يظهر عندهما تأثير الفكر اليوناني عموما والنقد الأرسطي على وجه الخصوص ، قدامة بن جعفر ، وإسحاق بن وهب ، فهما قد نصا صراحة على تأثرهما –كما سبق – والأول بينهما قد نال أكبر قدر من العناية من قبل الدارسين الذين اتفقوا على تأثره ، وتمثله لأفكار أرسطو النقدية . فشوقي ضيف يقول عن تفضيل قدامة للغلو :

" محتجا بأنه مذهب الفلاسفة اليونانيين في الشعر، ولا ريب في أنه يشير إلى كتاب أرسطو في الخطابة أو على الأقل لما فهمه منه من مثل قوله إن الصناعة الشعرية ، إنما يقصد بها التخيل لا التصديق وقوله إن الخطابة معدة للاقتناع و الشعر ليس للاقتناع و التصديق ولكن للتخيل بل أكثر من ذلك نراه يرتضي الإفراط في المديح والهجاء بينما يطلب الحد الأوسط في الخطابة " ³ .

كما كان للدكتور شكري عياد رأي في هذه المسألة حيث يقول : " إذا كان مثل هذا الأثر قد وجد فيغلب أن يكون في ناحيتين من بلاغة قدامة ، فنون الشعر ، والغلو في المعاني ، فأما في الفنون ، فقد ترك قدامة ذكر الفخر ونظر إلى الرثاء على أنه لون من المديح ، ولعل ذلك صدى لتقسيم أرسطو الشعر كله إلى محاكاة الأفاضل ومحاكاة للأشرار ، وهو ما عبر عنه متى بالمديح وللهاء وأما في موضوع الغلوفماذا يعني بإشارته إلى فلاسفة اليونانيين في الشعر ؟ إن لم ينص على كتاب الشعر صراحة ولكننا لا نعرف الوصف الذي وصفه يصدق على كتاب آخر مما ترجم إلى العربية غير هذا الكتاب. " ⁴

وللدكتور بدوي طبانة نفس الرأي، ⁵ بخلاف إحسان عباس الذي استنتج أن فكرة قدامة لا تتطابق تماما مع رأي أرسطو حيث يقول : " وإذا أخذنا بقانون الاحتمال الأرسطوطالسي وجدنا أن بعض أنواع الغلو غير محتملة لكنها ممكنة وهي ما يؤثر أرسطو أن يبعده من حيز الشعر ، وأن بعض ما سماه قدامة الممتنع يقع تحت المستحيل المحتمل وأن أرسطو يفضل على النوع السابق ، هل نقول هنا إن قدامة لم يستطع أن يفهم ما عناه الفيلسوف ؟ إن

¹ عصفور جابر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص 144 .

² مومني قاسم : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ص 104.

³ ضيف شوقي : البلاغة تطور و تاريخ ص 84.

⁴ عياد شكري : كتاب أرسطو ليسفي الشعر ص 233 - 236 .

⁵ طبانة بدوي : النقد الأدبي عند اليونان ص 232 - 236 .

المثل الذي أورده قدامة لابن نواس : " يا أمين الله عش أبدا " يدخل في غير المعقول (لا في المقنع) هو شيء أنكره أرسطوطاليس في الشعر لأنه يحطم منطق الأشياء وقانون السببية فالمثل صحيح ، ولكن القاعدة العامة التي وضعها قدامة لا تنقيد برأي أرسطو ¹ . إذا كان قدامة بن جعفر قد استفاد فعلا من فكرة أرسطو فيما يخص الغلو ، فهذا لا يعد عيبا و لا غضا من الجهود التي بذلها بل على العكس يعد إنجاز بالنسبة له فهو كان معاصرا لمتى بن يونس ناقل الكتاب ² ، أي أنه كان من الأوائل الذين احتكوا به ، قبل انتشار الشروح والتلاخيص .

أما إذا كان لم يتقيد برأي أرسطو فهو لم يكن مطلوبا منه أبدا أن يتقيد بها ، فلكل ناقد ظروفه والأدب الذي يعالجه ، وهذه نقطة تحسب لصالحه لا عليه ، فهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه لم يكن يود التطبيق الحرفي لأراء أرسطو على أشعار اختلفت عما عرفه ، بل محاولة تكييفها وما يتناسب مع الأدب العربي ، كما حدث مع المحاكاة مثلا فهي إن كانت عند أرسطو تقديم ناس أفضل من الفضلاء العاديين أو أسوء مما هم عليه في الواقع ، فإنها في النقد العربي قد أخذت صورة مختلفة فهي تقدم الفضيلة حيث لا توجد ، والسوء حيث لا يكون .

ثالثا : جماليات الغلو

اتخذ الشعراء الغلو وسيلة للتجديد بعد أن ساد التكرار في المعنى والصياغة . كما كان الغلو أيضا وسيلة لتمثيل المعنى و تأكيده ، فالاستفادة القرآنية عند الرماني أسلوب مبالغة ، كمثــــل قوله تعالى : " سنفرغ لكم أيها الثقلان " ³ ، " ذلك أن الله عز و جل لا يشغله شأن عن شأن و لكن هذا أبلغ في الوعيد ، و حقيقته سنعمد ، إلا أنه لما كان الذي سيعمد إلى شيء قد يقصر فيه لشغله بغيره معه ، و كان الفارغ له هو البالغ في الغالب مما يجري به التعارف ، دللنا بذلك على المبالغة من الجهة التي هي أعرف عندنا لما كانت بهذه المنزلة ليقع الزجر بالمبالغة – التي هي أعرف عند العامة و الخاصة – موقع الحكمة " ⁴ كما أن الشعراء استخدموا المبالغة لنفس الغرض أي الإبانة و التوضيح ، فالمتنبي قال مادحا سيف الدولة الحمداني عندما هزم الروم بثر الحدث سنة 343 هـ :

نثرتهم فــــوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم ⁵

هذا البيت يتضمن استعارة و تشبيها ، فالاستعارة في نثر قتلى العدو على جبل الأحيدب و هذا ما لا يكون ، فالنثر يكون للأشياء الصغيرة التي يمكن جمعها ثم رميها بصورة عشوائية ، لكن المتنبي عندما أراد أن يبالغ في عدد القتلى و سقوطهم تباعا دون انتظام استعار مفهوم النثر .

للمتنبي أيضا بيت جميل يصف فيه قوة سيف الدولة فيقول :

¹ عباس إحسان : تاريخ النقد الأدبي ص 201 .

² عياد شكري : كتاب أرسطوطاليس في الشعر ص 172 - 179 . و ص 234 .

³ سورة الرحمان آية 31

⁴ مومني قاسم : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، عن النكت في إعجاز القرآن للرماني ص 309

⁵ الديوان : مجلد 2 جزء 2 ص 104

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خــــالـد¹
 فعدد قتلاه كثير ، لدرجة أنه لو كان يضاف إليه عمر كل من قتلهم لكان خالدا ، و أكثر من
 ذلك لهنئت الدنيا به ، فهو ليس مجرد رجل عادي و شجاعته ليست عادية ، فكلما طال
 عمره عم فضله كل الدنيا و قضت قوته على الأعداء ، و لو لم يستخدم المتنبي أسلوب الغلو
 لما تمكن من إيصال هذا المعنى بكل هذه القوة و الحيوية.
 يمكن اعتبار الإبانة و التوضيح أولى درجات المبالغة ففيها يتم إبراز ما خفي في صورة
 أقوى ، و في الدرجة الثانية يأتي التحسين و التقبيح و معناه " قدرة التبليغ على تغيير وقع
 المعاني و الأفكار على نفس المتلقي و عندما تصبح الصورة الفنية وسيلة للتحسين و التقبيح
 فإنها تؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه "²
 فالشاعر قد يبالغ في صفة من الصفات حسنة كانت أم سيئة فيمدحها أو يذمها كقول ابن
 الرومي يهجو بخيلا :

لو أن قصرك يا بن يوسف ممتلئ إبراهيم يضيق بها فنساء المنزل
 و أتاك يوسف يستعيرك إبررة ليخيط قد قميصه لم تفعل³
 و لا يمكن أبدا تصور بخل يصل إلى هذا الحد ، أو تصور فناء بيت يضيق إبراهيم و لا يعير
 صاحبها والده إبررة ليخيط قميصه الممزق ، لكن مقام الهجاء يتطلب هذه المبالغة فلو غابت
 لكان مجرد شعر يصف بخيلا دون أدنى تأثير.
 و لا بأس هنا من ذكر أبيات لابن الرومي يمدح البخل في مقام آخر قائلا :
 لا تلم المــــرء على بخله و لمة يا صاح على بذله
 لا عجب بالبخل من ذي حجي يكرم ما تكرم من أجله⁴
 و لا عجب في ذلك ، فالشعر في هذه الفترة لم يعد مصدر المعرفة الوحيد ، و الشاعر لم
 يعد نبيا ، بل أصبح في أحيان كثيرة مجرد تابع للحاكم ، إذا غالى في مدحه نال العطاء و
 إذا قصر ترك للفقر أو غيب في السجن.
 فحسن البيان يرى الظلماء كالنور كما قال ابن الرومي :
 في زخرف القول ترويح لباطله و الحق قد يعتريه سوء
 تدبير
 تقول هــــذا مجاج النحل تمدحه و إذا ذممت فقل قيء
 الزنانير
 مدحا و نما و ما جاوزت وصفها حسن البيان يرى الظلماء كالنور⁵

و في هذا الباب يقول أبو نواس :
 يا قمرا أبصرت في مآثم يندب شــــجوا بين أتراب
 يبكي قيذري الدر من نرجس و يلطــــم الورد بعنــــاب¹

¹ نفسه: مجلد 1 جزء 1 ص 399

² عصفور جابر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ص 353 .

³ موسى أحمد إبراهيم: الصبغ البيدي ص 484 .

⁴ مومني قاسم : نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ص 317 .

⁵ نفسه ص 318 .

فصورة المرأة التي تبكي في مأتم لا يمكن أن تكون جميلة لكن أبا نواس بهذا الوصف الجميل المبالغ فيه أبدع صورة في غاية الروعة حتى أنه وصف بأشعر الجن و الإنس بسببها.²

وقد أكد الدكتور الأخضر عيكوس على أهمية الغلو في الصورة حين قال : " ... تصبح الصورة البديعية صورة شعرية معبرة و منيرة لا سيما إذا انتهجت نهج الغلو و الإغراق و اعتمدت المبالغة و الإفراط " ³

كما وصف الغلو بالرقى في بحث آخر له حيث قال : " و لعل من أنواع الصور البديعية و أرقاها غللا التي تقوم على عنصر المبالغة و يعتمد فيها الشاعر الإيغال و الغلو ، فيغرق في تشبيهاته و يفرط في معانيه حتى يبلغ حد المستحيل " ⁴ و رغم أن المتلقي يعي أن هذا الوصف مستحيل الوقوع إلا أنه يعجب به كما في قول ابن هانئ الأندلسي :

شارفت أعنان السماء بهمتي و وطئت بهرام النجوم بأخمصي⁵
إذا تم النظر لهذا البيت من زاوية العقل لكان غلوا و إفراطا مستحيل الوقوع ، لكن إذا تم النظر إليه كصورة شعرية أراد ابن هانئ من خلالها أن يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه في وصف مجده ، فهمته شارفت أعنان السماء و ما لا يصيب الأرض من باطن القدم و طئ به المريخ. وهذه الجزئية الأخيرة هي التي زادت الصورة غلوا فهو لم يضع قدمه كباقي البشر على المريخ ، بل وضع أخصصها الذي لا يصيب الأرض أبدا حتى على الكوكب الذي يسير عليه كل الناس ، و هنا تكمن المفاجأة و الجدة ، فلو استخدم أوصافا عادية لما كان لصورته وقع أو معنى فالارتباط غير المتوقع " لا يمكن انتقاده في الشعر ، بل ربما كان هو المطلوب المحبوب ، رغم أن الحقيقة الواقعة لا تقبله ، ذلك أن هذا الارتباط يكون دائما شيئا جديدا يحمل الإثارة ، على أن هذه العلاقات الجديدة التي تكتشف دائما لا يتوصل إليها الشاعر أو الفنان بطريقة منطقية مستأنية يقبلها العقل و يرتاح لها من حيث هي نسق من النظام الطبيعي ، بل تحصل هذه العلاقات في النفس دفعة واحدة " ⁶
كثيرا ما كان الغلو مصدر الإثارة و الجمال في الصورة الشعرية بما يمنحه من غرابة و غموض و لجدة ما يعرضه كقول أبي نواس واصفا الخمر :

سـلـاف دن إذا ما الماء خالطها فاحـت كما فاح تفاح

بلبنـان

كالمسك إن بزلت و السبك إن سكبت تحكي إذا مزجت إكليل مرجان
صهباء صافية عذراء ناصعة للسقم دافعة ، من كرم دهقان
كرم تـخال على قضبان نخلته يوم القطاف له هامات
حبشان

¹ موسى أحمد إبراهيم: الصيغ البديعية ص 72 .

² نفسه ص 72 .

³ عيكوس الأخضر : مفهوم الصورة الشعرية حديثا ، مجلة الآداب ، العدد 03 - جامعة قسنطينة - 1996 ص 155 .

⁴ الأخضر عيكوس : مفهوم الصورة الشعرية قديما مجلة الآداب، العدد 2 - جامعة قسنطينة - 1995 ص 94 .

⁵ ابن هانئ الأندلسي: الديوان - دار صادر دون تاريخ ص 180 .

⁶ إسماعيل عز الدين : التفسير النفسي للأدب ص 70 .

لم تدن منها يد من يــــوم قطفتها و لم تعذب بتــــدخين و
نــــيران¹

تبدو هذه الخمرة التي وصفها أبو نواس خيالية ، فكل صفات الحسن اجتمعت لها ، فهي عندما تمزج بالماء تكون لها رائحة التفاح ، و إذا ثقب إناءها كانت كالمسك ، أما عند سكبها فهي ذهب خالص ، و إذا مزجت بالماء كانت كالمرجان ، كما اجتمعت لهذه الخمرة كل صفات الصفاء و البياض و هي لم تشرب من قبل كما أنها تمنع الأمراض أما كرمها الذي عصرت منه فهو عجمي ، شديد السواد كرؤوس الأحباش و قد تخمرت بعيدا عن النار و الشمس و أيدي اللامسين ، و في نفس السياق قال أبو نواس واصفا الخمر :

يا خاطب القهوة الصهباء يمهرها بالرطل يأخذ منها ملأه ذهباً
قصرت بالراح : فاحذر أن تسمّعها فيحلف الكرم أن لا يحمل العنبا
إني بذلت لها لما بصـرت بها صاعا من الدر و الياقوت ما ثقبها
فاستوحشت و بكت في الدن قائلة يا أم ويحك أخشي النار و اللهبا
قلت : " لا تحذريه عندنا أبدا " قالت : " و لا الشمس " ، قلت : " الحرق ذهباً "

2

يحاور أبو نواس الخمر و كأنها تعقل ، فتتمنع و تطلب ما بدا لها و البيت الثاني يحمل صورة جميلة ، فالكرم إذا عرف أن الخمر لا تأخذ مكانتها اللائقة قد يحلف ألا يحمل عنبا ، و هذا إفراط بديع ، فالشجر لا يسمع و لا يحلف و لا ينتج بإرادته ، كما يغلو أبو نواس أيضا في الثمن الذي بذله للخمر " صاع من الدر و الياقوت " ، و رغم ذلك اشترطت الخمر أشياء أخرى و طلبتها من الدن الذي اعتبره مالها ، فهي لا تريد أن تعرض لا للنار و لا للشمس ، و كل هذا مما لا يمكن وقوعه لا عقلا و لا عادة ، بل خيال أبي نواس و شغفه الشديد بالخمر جعله ينظم هذه الصور التي قال عنها طه حسين : " ثم هذا الكلام الكثير في أن الخمر لا تطبخ على النار و لم ترها الشمس و إنما عتقت و تخمرت في جوف الأرض بمعزل عن حر الشمس و النار ، و قد نقرأ الشعر الذي يتناول هذه المعاني فنعجب به لأن لفظه جيد ، أو لأن فيه مغالاة تدهشنا و تخالف ما ألفنا أو لأن فيه شيئا من الإحالة و البعد عن معقول الناس " ³

ليس طه حسين الوحيد بين النقاد الذي يعجبه البعد عن المعقول و الغرابة ، فسمير أبو حمدان صاحب كتاب الإبلاغية في البلاغة العربية يؤكد على نفس الفكرة ناقلا قولاً لأندرية بروتون : " إن تغريب شيء من شيء آخر و المقارنة بينهما بشكل مباغت و فجائي ، رغم ما قد يكون بينهما من تباعد ، له من الأشياء الأسرة و الأخاذة ، إنه بكلمة أخرى من أسمى المهام التي ينهد إليها الشعر " ⁴

لابن هاني الأندلسي أبيات يمدح بها أبا الفرج محمد بن عمر الشيباني يقول فيها :

¹ أبو نواس (الحسن ابن هاني) : الديوان تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي - بيروت - دون تاريخ ص 133 .

² الديوان : ص 91 .

³ حسين طه : حديث الأربعاء ص 85 .

⁴ أبو حمدان سمير : الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية - بيروت - باريس 1991 ، ط 1 ، ص 43 .

حلفت بالسابغات البيض و التليب
لأنت ذا الجيش ثم الجيش نافلة
و لو ثنيت إلى أرض الشام يدا
و بالأسنونة و الهندية القضب
و ما سواكم فلعو غير محتسب
ألقت إليك بأيدي الذل من كذب¹

الممدوح حسب تصوير ابن هانئ بطل أسطوري من العصور القديمة ، يملك قدرات خارقة تفوق بني البشر فهو بمثابة جيش كامل ، بل باقي الجند مجرد لغو لا يمكن احتسابهم ، و مصر تكفيها إشارة صغيرة من سوطه لتكون طوع بنانه ، لا يحتاج في ذلك إلى قوة الخيل و لا السلاح ، و الشام أيضا تكون بين يديه بمجرد ثني يديه ، و في الشطر الأخير استعارة جميلة تصور مدى قوة الممدوح ، فكل ما أراده قد دان إليه دون أدنى مقاومة أو جهد منه.

لا أتصور أن ابن هانئ كان يمكنه الوصول إلى هذه الصورة دون غلو لأن شعره عندها سيكون مجرد اجترار لصور معروفة كالتشبيه بالأسد أو وصف كثرة القتل أو كثرة التركيز على كثرة الأعداء و شجاعتهم ، ابن هانئ استغنى عن كل ذلك و ركز على قدرات الممدوح الخارقة ، فكل شيء طوع بنانه دون قتال و هذا ما لا يمكن وقوعه ، لكن المبالغة و الشعر عموما لا يخضع للعقل كما يؤكد ذلك الدكتور عيكوس : " و الحقيقة أن المبالغة باعتبارها أسلوبا تعبيريا تخيليا لا ينبغي بأية حال أن نخضعها لأساليب التعبير العقلي المنطقي ، و إنما هذا التهويل الذي من شأنه أن يستبد بمخيلة السامع و يثير انفعاله هو ما تنتشه بالضبط في كل صورة شعرية أصيلة " ²

يؤكد أحمد مطلوب على نفس الفكرة عدم خضوع الشعر للعقل مستشهدا بشعر أبي نواس حين يقول :

فلما شربناها و دب ديبها
مخافة أن يسطو علي شعاعها
و حين يقول :

و أخفت أهل الشرك حتى إنه
لتخافك النطف التي لم تخلق⁴
" و لعل بيته في الخمر أقرب من البيت الثالث و هما رائعان و إن كان العقل لا يقبل وقوع مثل ذلك و لكن الشعر لا يقاس دائما بالعقل أو بما يمكن أن يقع ، فقد يكون للخيال النصيب الأوفى في روعته و جماله كما في بيتي أبي نواس " ⁵

قال المتنبي مادحا و راجيا سيف الدولة الحمداني :

إني دعوتك للنوائب دعوة
لم يدع سامعها إلى أكفائه
فأتيت من فوق الزمان و تحته
متصلصلا و أمامه و ورائه⁶

¹ الديوان ص 54 .

² عيكوس الأخضر: الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية دراسة بلاغية نقدية رسالة ماجستير -جامعة قسنطينة ص 218 .

³ مطلوب أحمد : فنون بلاغية - البيان والبديع - دار البحوث العلمية ط 1 الكويت 1395 هـ - 1975 م ، ص 285 .

⁴ نفسه ص 285 .

⁵ نفسه ص 285 .

⁶ ديوان المتنبي : المجلد 1 الجزء 1 ص 133 .

تقترب صورة سيف الدولة في هذين البيتين من صورة ممدوح بن هانئ السابق مع مبالغة المتنبي المطلقة فهو دعا سيف ليدفع عنه الشدائد رغم أنه فوقها و أقوى منها و ليست كفؤا له ، فأجابه إلى طلبه و أتى من كل زمان و من اللزمان ، فهو فوقه و تحته ، و أمامه و ورائه ، لابساً سلاحه ، فأحاط بالمتنبي حائلاً بينهما.

هذه الصورة قريبة أيضا من قول أبي نواس مادحا :

تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري و ليس يراني¹

فالممدوح هنا أيضا أحاط بأبي نواس و حماه من الدهر لدرجة أنه لا يستطيع أن يراه في حين أن أبا نواس ينظر إليه و هذا منتهى الغلو و منتهى الشاعرية - إن صح التعبير - ففوق هذه الحماية لا يوجد ، و فوق هذا الغلو ربما لا يوجد أيضا ، فالدهر في الموروث الشعري العربي يعادل الآلام و الأمراض و الهرم و الموت أو ببساطة سبب كل المساوئ و لا يمكن أبدا أبدا الهروب منه ، أو الوقوف في وجهه. لكن محاربة اللامريء و الانتصار عليه هو ما أعطى هذه الصور شاعريتها لينفعل معها المتلقي. و هذا ما أكدته السلجماسي حيث تحدث عن الصور المثيرة " و بالجملة تتفعل له النفس انفعالا نفسانيا غير فكري سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به ، فإما كونه مصدقا به غير كونه مخيلا أو غير مخيل ، إذا كانت القضية الشعرية إنما تؤخذ من حيث هي مخيلة فقط دون نظر إلى صدقها أو عدم صدقها " ²

أكد نقاد آخرون أيضا نفس الفكرة ، أي عدم ضرورة الصدق في العمل الشعري كأبي هلال العسكري الذي قال : " و أكثره - يعني الشعر - قد بني على الكذب و الاستحالة من الصفات الممتنعة و النعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات ، وشهادة الزور و قول البهتان ، لا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر و أفضله ، و ليس يراد منه إلا حسن اللفظ و جودة المعنى ، هذا هو الذي سوغ استعمال الكذب و غيره مما جرى ذكره فيه ، و قيل لبعض الفلاسفة فلان يكذب في شعره ، فقال : " يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الأنبياء " ³

و هذا ما أكدته قدامة بن جعفر حين قال : " ... إذ أن الشاعر لا يوصف بأن يكون صادقا، إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني - أيا كان ذلك المعنى - أن يجيده في وقته الحاضر و حسب لا أن يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر " ⁴

في هذه الفقرة لقدامة ثلاثة أفكار مهمة تستحق الإشارة إليها :

الأولى : أن صفة الصدق لا تطلق على الشاعر وليس هو المطلوب منه.

الثانية : أن مجال المعاني غير محدود أمام الشاعر ، بل يمكنه الخوض في كل ما أراد.

الثالثة : أن الشعر محدود في زمنه ، فليس المطلوب من الشاعر أن يبقى ثابتا على نفس الأقوال لا يحدد عنها كما كان للشعراء رأيهم في هذه المسألة ، فهذا ابن خفاجة يؤكد ذلك قائلا : " ... و لا يعلمون مع ذلك أنه يستجاز في صناعة الشعر لا في صناعة النثر أن يقول القائل فيه : " إني فعلت " و " إني صنعت " من غير أن يكون وراء ذلك حقيقة ، فإن

¹ الديوان:ص469

² السلجماسي أبو القاسم : المنزع البديع ص 219 - 220 .

³ العسكري : الصناعتين ص 136 - 137 .

⁴ ابن جعفر قدامة: نقد الشعر ص 23 .

الشعر مأخذ و طريقة و إذا كان القصد فيه التخييل فليس القصد فيه الصدق و لا يعاب فيه الكذب و لكل مقام مقال " ¹

ليس المطلوب من الشاعر أن يصور الواقع الخارجي كما هو دون أدنى تغيير ، بل المطلوب منه أن يصوره كما يحسه و يراه بعين الشاعر و إلا كان مجرد مصور فوتوغرافي أو مؤرخ أو غيرها ... المهم أنه لن يكون شاعرا أبدا ، فالمتنبي مثلا حين قال مادحا كافور :

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـس بشمس منيرة سـوداء ²

كافور كما هو معلوم عبد أسود و الشمس لا تكون سوداء أبدا و ليس في الكون ما هو أشد نورا من الشمس ، لكن المتنبي أعاد صياغة الواقع بعين الشاعر و مدح كافورا بما كان يعاب به " ، لقد أراد المتنبي شمسا حقيقية ، شمسا خاصة به ، شمسا سوداء لا تنطوي على صفة تجريدية من صفات الشمس البيضاء أو الحمراء ، لقد اقتبس شارح الديوان عبارة للواحيدي تقول : إنه في سواده مشرق ، فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس ، و الواحيدي بهذا يقترب من حافة الاعتراف بخصوصية التعبير الشعري و حرية المجاز و حقه في تقصير المعنى من الأضداد و مشروعية الأغراب و المفاجأة و مشاركتها في توليد المتعة و تحرير الخيال استمرارا لتحرير المعجم و رفض عبودية العلاقة بين الألفاظ " ³

رغم كل ما قيل عن تملق المتنبي في مدح كافور و نفاقه لكنه في تلك اللحظات كان صادقا في مدحه – خاصة في الأبيات التي لا تحمل المعنيين المدح و الهجاء – خصوصا إذا تم التغاضي عن السياق العام للقصيدة و حياة المتنبي الشخصية و تم النظر إلى تلك الأبيات كصور شعرية ، ففي قوله مثلا بعد البيت السابق مباشرة :

إن في ثوبك الذي المجـدد فيه لعنـاء يزري بكـل ضيـاء

إنما الجلد ملبس و ابيضاض النـد فس خير من ابيضاض القباء

كرم في شجـاعة و ذكاء في بهاء و قـدرة في وفاء

من لبيض الملوك أن تبدل اللو ن بلون الأسـتاذ و السـحناء

فتراها بنو الـحروب بأعيا ن تـراه بها غـداة اللقـاء ⁴

مدح لسواد اللون ، رغم أنه يؤكد أنه غير مهم فالمهم أنه نقي السريرة ، صاحب مجد ، أبيض النفس ، حتى أن الملوك يتمنون سواد لونه ، فهو مخيف أكثر للأعداء ساعة الحرب لكن عندما تسوء الأحوال بينهما ، يهجو المتنبي كافورا بما مدحه به :

لا تشتت العبد إلا و العصـتا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسيء بي فيه كلب و هو محمود

و لا توهمت أن الناس قد فقدوا و أن مثل أبي البيضاء موجود

و أن ذا الأسود المثقوب مشفره تطيعه ذي العضاريط الرعايد

جوعان يأكل من زادي و يمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

....

¹ ابن خفاجة : الديوان تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف الإسكندرية 1960 ، ص 10-11 .

² الديوان : مجلد 1 الجزء 1 ص 158 .

³ عبد الله محمد حسين: الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، القاهرة مكتبة الدراسات الأدبية - دون تاريخ ص 129 .

⁴ الديوان : مجلد 1 الجزء 1 ص 158 - 159 .

من علم الأسود المخصي مكرمة
أقومه البيض أم آباؤه الصيد

1

فكافور هنا شخص آخر مجرد عبد نجس يستحق الضرب بالعصا و يتبرم من اضطرابه لمدحه ، و الكرام مفقودون لأن عبدا أسود يحكم مصر ، و كناه بأبي البيضاء نكايه به و سخرية منه ، و هو لم يعلم بوجوده إلا عندما جلس على العرش و حوله أنزال يطيعونه و لا يثرون عليه ، و هو فوق كل ذلك بخيل لم يكرم المتنبي و لم يكافئه على مدحه رغم أنه مجرد عبد أسود لا مكارم له و لا مجد ورثه عن آبائه.

يبدو التناقض صارخا بين المعنيين مدحا و هجاء ، لكن لا يمكن وصف المتنبي بالكذب في أي منهما ، فمدحا هو قد أجاد و وجد الأعداء و أحسن التعليل ، و هجاء هو قد أوجع و أصاب فلكل مقام مقال كما قال ابن خفاجة سابقا. و لا يطالب الشاعر بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر كما أكد قدامة. فالمهم مراعاة حالة الشاعر؛ حالة الشاعر النفسية و الهدف الذي أراد الوصول إليه من خلال شعره لأن " فهمنا لطبيعة الغلو ستأخذ مجرى آخر ، إذ أننا سنجد أنفسنا مجبرين على ربط الصورة بالموقف النفسي للشاعر الذي علينا أن نشاركه إحساسه بعواطفنا لا أن نناقشه بعقولنا ، و الغلو بعد هذا أسلوب فني ينبغي أن يكون منبعثا من وجدان حي ، صادرا عن خيال شعري خلاق ، و نابعا من انفعال فياض ، و إلا كان ضربا من التهويل الكاذب الذي لا يمكن أن ينفذ إلى نفوسنا ، و تكذبه عقولنا ، و من هنا فإنه ينبغي أن ننظر إلى الغلو نظرتنا إلى بقية أنواع البديع ، أي أن نشترط توفر العفوية فيها و نشترط ارتباطها بالتجربة الشعورية أو النفسية التي يحياها الشاعر " ²

فإذا كانت التجربة عنيفة مؤثرة فلا بد أن تكون الصورة مشحونة بكل تلك الانفعالات ، ففي هجاء المتنبي السابق لكافور مثلا كانت صورته مبالغا فيها ، و هذا بسبب إحساسه بالمرارة و خيبة أمله في كافور ، فهو بعد أن كان في حمى سيف الدولة بطلا حقيقيا حارب الروم و هزمهم و أميرا يستحق فعلا المدح ، اضطرب للعيش في جوار كافور مجرد عبد ، أصبح بقدرة قادر ملكا لمصر ، و مع كل هذا لم ينل منه مراده فكان لا بد أن يكون هجأؤه مقذعا مؤلما.

نقل المرزباني في موشحه استثناع إسحاق الموصلي لقول قيس بن الخطيم :
طعنت ابن عبد القيس طعنة تائر لها نقد لولا الشعاع أضاءها
ملكك بها كفي فأنت هرت فتقها يرى قائم من خلفها ما وراءها
حتى إذا سمع قوله أيضا :

ضربته في الملتقى ضربة فزال عن منكبه الكاهل
فصار ما بينهما فجوة يمشي بها الرامح و النابل
فزاد استنكاره ³ فكأنه كان ينتظر منه رواية لأحداث المعركة كما وقعت تماما ، و كأنه يراها أمامه لا كما أحسها ابن الخطيم ، صحيح أن وصفه لا يمكن أن يقع لكن " الخيال يستطيع أن يتصور القولين إذا فصلهما عن المقول فيه و اعتبرهما من الممكن وقوعهما في

¹ الديوان : مجلد 1 جزء 2 ص 144 - 147 .

² عيكوس الأخضر: الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية ص 223 .

³ المرزباني : الموشح ص 116 .

شكل ما في مكان ما لشخص ما و أنهما ليسا خبرا عن المعركة بقدر ما هما تصوير للمعركة، فالكاهل في الصورة الثانية قد انفصل عن المنكب أو هكذا خيل للشاعر و انفصل مبتعدا في قوة تاركا مساحة تسمح للرامح و النابل أن يمرا بينهما أو هكذا خيل للشاعر ، خيل إليه هذا ليرضي نفسه ، هذه النفس المجروحة من قاتلي أبيه و جده ، فلو تصورنا أن قيس بن الخطيم يقول تمنيت أن أفعل و أن يكون فعلي لصورة كذا و كذا نجد أن المبالغة هنا كانت صادقة جدا في ترجمة الحقد الدفين و الكمد المكتوم و النار التي تستعر في قلب قيس و من ثم فلا كذب و لا شناعة " ¹ و كان لا بد أن تكون أوصافه مبالغا فيها فطعنه طعنة ثائر كما وصفها و لو وصف نزالا عاديا كبقية الشعراء لما حفظت كتب الأدب شعره ، و لما كان يحسه من ألم جراء قتل أبيه و جده قوله كان من الشعر الذي قال عنه سمير أبو حمدان " ... إنها الصيغ التي تنجح إلى المبالغة و الإنفعال لا لشيء إلا لأنها قررت أن تحفر في دخالنا ندوبا لا تمحى ، فمطلبها الأساس أن تقتحم النفوس بما تمتلك من عدة نفسية ، و الهدف إحداث الخضة المرجوة و المطلوبة " ² فالصيغ الشعرية تصبح مع التكرار مستهلكة لا تشد السمع و لا تثير الانفعال المطلوب ، فلا بد من التغيير الدائم ، ليظل الشغف موجودا لدى المتلقي و إن كان غلو قيس بن الخطيم و المتنبي ليس هدفه الأول التغيير و إنما جاء نتيجة الانفعال الشديد ، لكن مع ذلك فالتغيير دائما مطلوب.

قال المتنبي مادحا سيف الدولة :

إن كان قـد ملك القلوب فإنه	ملك الزمان بأرضه و سمائه
الشمس من حساده و النصر من	قرنائـه و السيف من أسمائه
أين الثلاثـة من ثلاث خلاله	من حسنه و إبنائه و مضائه
مضت الدهـور و ما أتت بمثله	و لقد أتى فعـجزـن عن نظرائه ³

لا يتعجب المتنبي هنا من سيف الدولة عندما أحبه الناس و ملك قلوبهم ، فهو قبل ذلك قد ملك الزمان و المكان يصرف الكائنات كما شاء ، كما ملك السماء بأفلاكها فكانت المقادير في يده السعد له و النحس لأعدائه فأينما توجه فهو المنتصر حتى أن الشمس تحسده على ذلك ، و لا عجب في هذا أيضا فاسمه سيف و مع ذلك فهو فوق كل هذا أشد إباء من النصر، أحس من الشمس ، أمضى من السيف و لم يوجد له أبدا نظير فيما مضى من الزمان و لا فيما هو آت فكان فردا واحدا في الخليقة.

الأبيات تحمل شحنة انفعالية رغم الغلو فيها لكن المتنبي كان مضطرا للتغيير ، فلا يمكن أن يكرر الصور ذاتها بالكلمات ذاتها فإذا كان النابغة قديما قد مدح قائلا :

فإنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب ⁴

فلا بد أن يكون ممدوح المتنبي أعظم من الشمس ، و إلا لما نال إعجابه و رضاه ، فلا بد من التغيير ... " و كل ندرة إلى شيوع و انتشار و صحيح ما يقوله سلفوسكي : إن الناس الذين يعيشون على الشاطئ سرعان ما يتعودون على هدير الأمواج حتى أنهم لا يحسون بها و لا يسمعونها عادة ... و هذا كله واقع بالنسبة لمفردات اللغة و تراكيبيها و منه تبدأ

¹ سلطان منير : البديع تأصيل وتجديد ص 125 .

² أبو حمدان سمير: الإبلاغية في البلاغة العربية ص 38 .

³ الديوان : مجلد 1 جزء 1 ص 137 .

⁴ الديوان: ص 56

وظيفة اللغة الفنية وتتأكد أهمية المجاز الذي يزيل الرتابة عن الأشياء و يكشف عن علاقات جديدة بين عناصر الوجود تقدم لنا عالماً هذا القديم و نفوسنا هذه التي تلابسنا بشكل جديد مدهش يحرك الفكر و يثير التأمل و ينشط الشعور بالغضارة و البكارة ، و يعيد الكائن البشري إلى مكانه من العالم و صلته العميقة بكل مظاهره و ظواهره¹.

¹ عبد الله، محمد حسن: الصورة و البناء الشعري ص 121 - 122

ثانيا : المتنبي

قافية الهمزة

إني دعوتك للنوائب دعوة
 فأنتيت من فوق الزمان و تحته
 إن كان قد ملك القلوب فإنه
 الشمس من حساده والنصر من
 أين الثلاثة من ثلاث خلاله
 مضت الدهور و ما أتيت بمثله
 أنطق فيك هجرا بعد علمي
 و أكره من ذباب السيف طعما
 و ما أربت على العشرين سني
 و ما استغرقت وصفك في مديحي
 و هبني قلت هذا الصبح ليـل
 و إن من العجائب أن تراني
 و تنكر موتهم و أنا سهيل
 أسفى على أسفى الذي دلتهني
 وشكيتي فقد السقام لأنـه
 أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت
 و إذا خفيت على الغبي فعاذر
 و وجدت حتى كدت تبخل حائلا
 ولك الزمان من الزمان وقايـة
 لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو
 إنما التهئات للأكفـاء
 و أنا منك لا يهنئى عضو
 فارم بي ما أردت مني فإنـي
 و فؤادي من الملوك و إن كـا
 لقد نسبوا الخيام إلى عـلاء
 و ما سلمت فوقك للثريـا
 و قد أوحشت أرض الشام حتى
 تنفس و العواصم منك عـشـر

لم يدع سامعها إلى أكفائه
 متصللا و أمامه وورائه
 ملك الزمان بأرضه و سمائه
 قرنائه و السيف من أسمائه
 من حسنه و إباءه و مضائه
 و لقد أتى فعجزن عن نظرائه
 بأنك خير من تحت السماء
 و أمضي في الأمور من القضاء
 فكيف مللت من طول البقاء
 فأنقص منه شيئا بالهـجـاء
 أيعمى العالمون عن الضيـاء
 فتعدل بي أقل من الهبـاء
 طلعت بموت أولاد الزنـاء
 عن علمه فبه على خفـاء
 قد كان لما كان لي أعضـاء
 وإذا نطقت فإنني الجـوزاء
 أن لا تراني مقلة عميـاء
 للمنتهى و من السرور بكـاء
 ولك الحمام من الحمام فدـاء
 عقلت بمولد تسلفها حـواء
 و لمن يدني من البعداء
 بالمسرات سائر الأعضـاء
 أسد القلب آدمي السـرواء
 ن لساني يرى من الشعراء
 أبيت قبوله كل الإبـاء
 ولا سلمت فوقك للسمـاء
 سلبت ربوعها ثوب البهـاء
 فتعرف طيب ذلك في الهـواء

قافية الباء

و أنك رعت الدهر فيها وريـه
 فيوما بخيل تطرد الروم عنـهم
 فإن شك فليحدث بساحتها خطبا
 و يوما بجود يطرد الفقر و الجـدبا

و هل ترقى إليه الفلك الخطوب
 فقرب أفلها منه عجيب

أيدري ما أراك من يريـب
 و جسمك فوق همة كل داء

و قد يؤذى من المقة الحبيب
و أنت لعله الدنيا طيب

فكيف تحوز أنفسها كلاب
تخوف أن تفتشه السحاب

و ليت غائبة الشمسيين لم تغب
فداء عين التي زالت و لم تؤب
من الكرام سوى أبائك النجب

لنجل على أن ليس لله غالب

خرقاء تتهم الإقدام و الهربا
فجاز و هو على آثارها الشهبا

لو ذاقها لبكى ما عاش و انتحبا
و السميري أخا و المشرفي أبا
حتى كأن له في قتله أربا
عن سرجه مرحا بالغزو أو طربا

و البر أوسع و الدنيا لمن غلبا

من بعد ما أنشبن في مخالبنبا

متناها فجعلنه لي صاحبا
محن أحد من السيوف مضاربا
مستسقىا مطرت على مصائبنا
من دارش فغدوت أمشي راكبا

حدادا لم تشق لها جيوبا
خاطنا في عظامهم الكعوبا

يراعي من دجنته رقيبنا
وما يخطي بما ظن الغيوبنا
و لا دانيت يا شمس الغروبنا
كما أنا آمن فيك العيوبنا

لفارقتة و الدهر أخبت صاحب

يجمشك الزمان هوى و حبا
وكيف تعلق الدنيا بشيء

و تملك أنفس الثقلين طرا
طلبتهم على الأمواه حتى

فليت طالعة الشمسيين غائبة
و ليت عين التي أب النهار بها
واكرم الناس لا مستثنيا أحدا

ألا إنما كانت وفاة محمد

إن المنية لو لاقتهم وقفـت
مراتب سعدت و الفكر يتبعها

أذاقني زمني بلوى شرقت بها
و إن عمرت جعلت الحرب والدة
بكل أشعث يلقي الموت مبتسما
قح يكاد صهيل الخيل يقذفه

فالموت أعذر لي و الصبر أجمل بي

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا

و أحدثني ووجدن حزنا واحدا
ونصبني غرض الرماة تصيبيني
أظمتني الدنيا فلما جئتمنا
وحبيت من خوص الركاب بأسود

و قد ليست دماءهم عليهم
أدمننا طعنهم و القتل حتى

كأن الفجر حب مستزار
و هل يخطي بأسهمه الرمايا
فلا زالت ديارك مشرقا
لأصبح آمنا فيك الرزايا

وأحسب أنى لو هويت فراقكم

يطول استماعي بعده للنوادر
وقوع العوالي دونها و القواضب
كأني عجيب في عيون العجائب
وهمه في ابتداءات و تشبيب
فما تهب بها إلا بترتيب
إلا ومنه لها إذن بتغريب

و لا بد من يوم أغر محجل
يهون على مثلي إذا رام حاجة
إلى لعمرى قصد كل عجيبة
حتى أصاب من الدنيا نهايتها
إذا انتها الرياح النكب من بلد
ولا تجاوزها شمس إذا شرقت

فكل بعيد الهم فيها معذب
فلا أشتكي فيها و لا أتعذب
و لكن قلبي يا ابنة القوم قلب
تبينت أن السيف بالكف يضرب
و تلبث أمواه السحاب فتتضب
فإني أغني منذ حين و تشرب
ونفسي على مقدار كفيك تطلب
عليهم و برق البيض في البيض خلب
جدار معلى أو خباء مطنب

لحا الله ذي الدنيا مناخا لراكب
ألا ليت شعري هل أقول قصيدة
و بي ما يزود الشعر عني أقله
إذا ضربت في الحرب بالسيف كفه
تزيد عطاياه على اللبث كثرة
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله
و هبت على مقدار كفى زماننا
ثنائهم و برق البيض في البيض صادق
إذا قلت له لم يمتنع من وصوله

و إني لنجمة تهتدي بي صحبتي
غني عن الأوطان لا يستقرني
و يا أخذا من دهره حق نفسه
إذ حال من دون النجوم سحاب
إلى بلد سافرت عنه إياب
و مثلك يعطى حقه و يهاب

قافية التاء

يضع السنان بحيث شاء مجاولا
غلت الذي حسب المشور بأية
حتى من الأذان في آخراتها
ترتيلك السورات من آياتها

قافية الدال

أهم بشيء و الليالي كأنها
نهب من العمار ما لو حويته
فأنت حسام الملك و الله ضارب
تطاردني عن كونه وأطارد
لهنت الدنيا بأنك خالدا
وأنت لواء الدين و الله عاقد

ولكن تفوق الناس رأيا وحكمة
وما الدهر إلا من رواة قلائدي
فسار به من لا يسير مشمرا
أجزني إذا أنشدت شعرا فإنما
ودع كل صوت غير صوتي فإنني
إذا سأل الإنسان أيامه الغنى
كما فقتهم حالا و نفسا و محتدا
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
وغني به من لا يغنى معردا
بشعري أذاك المادحون مرردا
أنا الصائح المحكي والآخر الصدى
وكنت على بعد جعلتك موعدا

تحتي منخطوها تأيدها
بمثل بطن المجن قردها

وصب ماء الرفاب يخدمها

هن فيه ألقى من التوحيد
د وعود ألاجاني وعود الطريد
لم يجد فوق نفسه من مزيد
وسام العدا وغيظ الحسود

كنت الربيع وكانت السوردا

من فيك شام سوى شجاع يقصد
وسطا فقلت لسيفه ما يولد
موت فريض الموت منه ترعد
فتقطعوا حسدا لمن لا بحسد
في قلب هاجرة لذاب الجلمد
فالأرض واحدة وأنت الأوحـد
لجـرى من المهجات بحر مزبد
إلا و شفرته على يدها يـد
قلبا ومن جود الغوادي أجود

و أبوك و الثقلان أنت محمد
أحيط ما يفنى بما لا ينفد
صهيل الجياد وخفق البنود

أو من كآبائه والجودود

و بالورى قل عندي كثرة العدد
بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

ليلائتنا المنوطة بالتناد
بسفك دم الحواضر والبوادي
مننت أعدتهم قبل المعاد
بكى منه و يروى وهو صاد

أم الخلق في شخص حي أعيدا

رضينا له بخيل بأن لا يجود

أشد عصف الرياح يسبقه
في مثل ظهر المجن متصل

تنقدح النار من مضاربها

يترشفن من فمي رشفيات
وبهم فخر كل مننطق الضا
إن أكن معجبا فعجب عجيب
أنا ترب الندى ورب القوافي

لو كنت عصرا منبتا زهرا

من في الأنام من الكرام ولا تقل
أعطى فقلت لجوده ما يقتني
أسد دم الأسد الهزبر خضابه
قطعتهم حسدا أراهم ما بهم
حتى انثنوا و لو أن حر قلوبهم
كن حيث شئت تسر إليك ركابنا
ريان لو قذف الذي أسقيته
ما شاركته منية في مهجة
من كل أكبر من جبال تهامة

أنى يكون أبـا البرية آدم
يفنى الكلام و لا يحيط بوصفكم
يرون من الذعر صوت الرياح

فمن كالأمير ابن بنت الأمير

لما وزنت بك الدنيا فملت بها
ماصى الجنان يريه الحزم قبل غد

أحاد أم سـداس في أحاد
زعيم للقنا الخطى عزمي
وماتوا قبل موتهـم فلمـا
وكن كالموت لا يرثي لبـاك

أحلما نرى أم زمانا جديدا

طلبا رضاه بتـرك الـذي

وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد
و ضرب كأن النار من حرة برد
ويمكنه في سممه المرسل الرد
من الشعرة السوداء و الليل مسود
و حق بخير الخلق من خيره الود
من لا يرى في الدهر شيئاً يحمـد
يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد
وهم في ضجيجا لا يحس بها الخلد
فجازوا بترك الذم إن لم يكن حمـد

مدى ينتهي بي في مراد أحده

شيئاً تتيمه عين ولا جيد
إلا وفي يده من تنتها عود

من شفرتيه إلا بـداده
قبول سوداء عيني مـداده
في مكان أعرابه أكراده

يسر بين أنياب الأسود و الأسود
ويعبر من أفواههم على درد
بأرجان حتى ما يئسنا من الخلد
بمنشورة الرايات منصوره الجند
كتائب لا يرد الصباح كما تردي
ولا يحتمى منها بغور ولا نجد

وأشجع ذي قلب وأرحم ذي كبد
على المنبر العالي أو الفرس النهـد
فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

أبدل نونا بدالة الحائـد
خر لها في أساسه ساجـد
إلا بعيرا أضله ناشـد
قد مسخته نعامة شارد
فكلها منكر له جاحـد
لقيت منه فيمنه عامـد

أقل فعالي بلة أكثره مجـد
و طعن كأن الطعن لا طعن عنده
يكاد يصيب الشيء من قبل رميه
و ينفذه في العقد و هو مضيق
الوم به من لامنـي في وداده
من خص بالذم الفراق فإنني
يرومون شأوى في الكلام و إنـما
فهم في جموع لا يراها ابن دأبـة،
ومني استفاد الناس كل غريبـة ؛

ولكن قلبا بين جنبـي ماله

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم

يقسم الفارس المدجج لا يسلم
هل لعذرى عند الهمام أبي الفضل
خلق الله أفصح الناس طـرا

ومن يصحب اسما بن العميد محمد
يمر من السم الوحي بعاجـز
رجونا الذي يرجون في كل جنة
يغير ألوان الليالي على العـدى
إذا ارتقبوا صباحا رأوا قبل ضوئه
ومبثوثة لا تتقى بطليعة

أحزم ذي لب وأكرم ذي يـد
وأحسن معتم جلوسا وركبـة
تفضلت الأيام بالجمع بيننا

إذا المنايا بدت فدعوتها
إذا درى الحصن من رماه بها
ما كانت الطرم في عاجتها
تسأل أهل القلاع عن الملك
تستوحش الأرض أن تقر به
إن كان لم يعمد الأمير لما

شمس إذا الشمس لاقته على الفرس تردد النور فيها من تردده
نفس تصغر نفس الدهر من كبر لها نهى كهله في سن امرده

قافية الذال

أعجلت ألسنهم بضرب رقابهم عن قولهم لا فارس إلا ذا
غر طلعت عليه طلعة عارض مطر المنايا وابلا ورذاذا

قافية الراء

وأراك دهرك ما تحاول في العدى وأنت الذي يجح الزمان بذكره
وإذا تنكر فالفناء عقابه وإذا عفا فعطاؤه الأعمار
حتى كأن صروفه أنصار وتزينت بحديثه الأسمار
وكاتمت القلب ما تبصر فإنك عين بها ينظر

كأنني عصت مقلتي فيكم فلا غفل الدهر عن أهله

فلو خلق الناس من دهرهم لكانوا الظلام وكنت النهارا

الصوم والفطر و الأعياد و العصر
تري الأهله وجهها عم نائله
منيرة بك حتى الشمس و القمر
فما يخص به من دونها البشر

ما الدهر عندك إلا روضة انف ما ينتهي لك في أيامه كرم
فغن حظك من تكرارها شرف تشبيه جودك بالأمطار غادية
تكسب الشمس منك النور طالعة يا من شمائله في دهره زهر
فلا انتهى لك في أعوامه عمر وحظ غيرك منها الشيب والكبر
جود لكفك ثان ناله المطر كما تكسب منها نوره القمر

تثير على سلمية مسبطرا عجاا تعثر العقبان فيه
وظل الطعن في الخيلين خلسا فلزهم الطراد إلى قتال
مضوا متسابقي الأعضاء فيه إذا صرف النهار الضوء عنهم
وإن جنح الظلام انجاب عنهم يبيكي خلفهم دثر بكاه
غطا بالعثير البيداء حتى وجيش كلما حاروا بأرض
تتأكر نحتة لولا الشعار كأن الجو وعث أو خبار
كأن الموت بينهما اختصار أحد سلاحهم فيه الفرار
لأرؤسهم بأرجلهم عثار دجا ليلان ليل و الغبار
أضاء المشرفية و النهار رغاه أو ثواج أو يعثار
تحيرت المتالي و العشثار وأقبل أقبلت فيه تحار

كأن شعاع عين الشمس فيهِه
 من بعد ما كان ليلى لا صباح له
 غاب الأمير فغاب الخير عن بلد
 قد اشتكت وحشة الأحياء أربعة
 دخلتها وشعاع الشمس متقد
 في فيلق من حديد لو قذفت به
 تمضي المواكب و الأبصار شاخصة
 قد حزن في بشر في تاجه قمر
 حلو خلانقه شوس حقائقه
 تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت
 إذا تغلغل فكر المرء في طـرف
 تحمي السيوف على أعدائه معه
 إذا انتضاها لحرب لم تدع جسدا
 فقد تيقن أن الحق في يده
 تركن هام بني عوف و ثعلبة
 غخاض بالسيف بحر الموت خلفهم
 حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت
 كم من دم رويت منه أسننه
 فففي أبصارنا منه انكسار
 كأن أول يوم الحشر آخره
 كادت لفقد اسمه تبكي منابره
 وخبرت عن أسى الموتى مقابره
 ونور وجهك بين الخلق باهرة
 صرف الزمان لما دارت دوائره
 منها إلى الملك الميمون طائره
 في درعه أسد تدمي أظافره
 تحصي الحصى قبل أن تحصي مآثره
 كصدره لم تبين فيها عساكره
 ممن مجده غرقت فيه خواطره
 كأنهن بنوه أو عشائره
 إلا و باطنه للعين ظاهره
 و قد وثقن بأن الله ناصره
 على رؤوس بلا ناس مغافره
 وكان منه إلى الكعبيين زاخره
 في الأرض من جثث القتلى حوافره
 ومهجة ولغت فيها بواتره

تباعد ما بين السحاب وبينه
 ولو تنزل الدنيا على حكم كفه
 متى ما يشر نحو السماء بوجهه
 تر القمر الأرضي و الملك الذي
 هم الناس إلا أنهم من مكارم
 بمن أضرب الأمثال أم من اقيسه
 أمجور الديماس رهن قراره
 فنائلها قطر و نائله غمر
 لأصبحت الدنيا وأكثرها نزر
 تخر له الشعري وينخسف البدر
 له الملك بعد الله و المجد و الذكر
 يغني بهم حضر و يحدو بهم سفر
 إليك و أهل الدهر دونك و الدهر
 فيها الضياء بوجهه و النور

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن
 ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى
 خرجوا به و لكل بأك خلفه
 و الشمس في كبد السماء مريضة
 وحفيف أجنحة الملائك حوله
 حتى اتوا جذثا كأن ضريحه
 بمزود كفن البلي من ملكه
 فيه الفصاحة و السماحة و التقى
 كفل الثناء له بـرد حياتـه
 وكأنما عيسى ابن مريم ذكره
 يبكي عليه وما استقر قراره
 صيرا بني إسحاق عنه تكرمـا
 الكواكب في التراب تغـور
 رضوى على أيدي الرجال تسيـر
 صعقات موسى يوم ذك الطـور
 و الأرض واجفة تكـاد تـمور
 و عيون أهل اللادقية صـور
 في قلب كل موحد محفـور
 مغف وإثمـد عينه الكافـور
 و البأس اجمع والحجى و الخير
 لما انطوى فكأنه منشـور
 وكأن عازر شخصه المقبـور
 في اللحد حتى صافحته الحـور
 إن العظيم على العظيم صبـور

ولكل مفقود سواه نظير

فلكل مفجوع سواكم مشبه

أن يحزنوا و محمد مسرور

فأعيز إخوته برب محمد

حياه فيها منكرو ونكير
عنها فأجال العباد حضور
من بطن طير تنوفه محشور
إلا وعمر طريدها مبتور
ساعات ليلهم وهن دهور

أو يرغبوا بقصورهم عن حفرة
نفر إذا غابت غمود سيوفهم
وإذا لقوا جيشا تيقن أنه
لم تثن في طلب أعنة خيلهم
تدمي خدودهم الدموع وتنقضي

يجري بفصل قضائه المقدور

ملك تصور كيف شاء كأنما

وبأن تعادي ينفذ العمر
وزرت على من عافها الجمر
حتى كأنك هابك السكر
إلا الإله وأنت يا بدر

برجاء جودك يطرد الفقر
فخر الزجاج بأن شربت به
وسلمت منها وهي تسكرنا
ما يرتجي أحد لمكرمة

بشر منك يا شر الدهور
لأخت الأكم موغرة الصدور

وقلة ناصر جوزيت عنى
عدوى كل شيء فيك حتى

و في لي بأهليّة وزاد كثيـرا
وزهر ترى للماء فيه خريـرا
وأصبح دهري في ذراه دهورا

ووقت وفي بالدهر لي عند واحد
شربت على استحسان ضوء جبينه
غدا الناس مثليهم به لا عدمتـه

وحيدا وما قلبي كذا و معي الصبر
وما ثبتت إلا و في نفسها أمر
تقول أمات الموت أم دعر الذعر
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر
و بحر شاهد إنني البحر
من العيس فيه واسط الكور و الظهر
على كرة أو أرضه معنا سفر
على أفقه من برقه حلل حمر
على متنه من دجنه حلل خضر
علا لم يمت أو في السحاب له قبر
يجود به لو لم اجز ويدي صفر
سحاب على كل السحاب له فخر
ولو ضمها قلب لما ضمه صدر
وهل نافع لولا الأكف القتا السمر

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وأشجع مني كل يوم سلاممـتي
تمرست بالآفات حتى تركتها
وأقدمت إقدام الاتى كان لي
وكم من جبال جبت تشهد أنني الجبال
وخرق ماكن العيس منه مكاننا
يخدن بنا في جـوزه وكأننا
ويوم وصلناه بليـل كأنما
وليل وصلناه بيوم كأنما
وغيث ظننا تحتـه أن عامرا
أو ابن ابنه الباقي على بن أحمد
وإن سحابا جوده مثل جوده
فتى لا يضم القلب هـمات قلبه
و لا ينفع الإمكان لولا سخاؤه

قران تلاقى الصلت فيه وعامر
فجا آ به صلت الجبين معظما
مفدي بأبآء الرجال سميذعا
وما قلت من شعر تكاد بيوته
كان المعاني في فصاحة لفظها
وجنبني قرب السلاطين مقتها

كما يتلاقى الهندواني و النصـر
ترى الناس قلا حوله وهم كثر
هو الكرم المد الذي ماله جزر
إذا كتبت يبيض منورها الحبر
نجوم الثريا او خلانقك الزهر
وما يقتضيني من جماعها النسر

نافست فيه صورة في ستره
لا تترب الأيدي المقيمة فوقه
يقيان في احد الهودج مقلّة

ولو استطعت إذ اغتدت روادهم
يتكسب القصب الضعيف بكفه
ويبين فيما مس منـه بنانه
يا من إذا ورد البلاد كتابه
ورسائل قطع العداة سحاءها
فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا
خلقت صفاتك في العيون كلامه

لو كنتها لخفيت حتى يظهر
كسرى مقام الحاجبين وقيصرا
رحلت فكان لها فؤادي محجرا
لمنعت كل سحابة أن تقطـرا
شرفا على صم الرماح ومفخرا
تبه المدل فلو مشى لتبخـترا
قيل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا
فراوا قنا وأسنة و سنورا
ودعاك خالقك الرئيس الأكبر
كالخط يملأ مسمعي من أبصرا

بدرت إليك يد الزمان كأنها
من مبلغ الأعراب أنى بعدها
ولقيت كل الفاضلين كأنما
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما
زحل على أن الكواكب قومه

وجدته مشغول اليدين مفكـرا
شاهدت رسطاليس و الإسكندرا
رد الإله نفوسهم و الأعصرا
وأتى فذلك إذ أتيت مؤخـرا
لو كان منك لكان أكرم معشرا

قافية الزاي

حملته حمائل الدهر حتـى
وهولا تلحق الدماء غراريـه
يا مزيل الظلام عني وروضـى
واليمناني الذي لو اسطعت كانت
سله الركـض بعدوه بنجد
نفسه فوق كل أصل شريـف
تقضم الجمر و الحديد الأعادي

هي محتاجه إلى خـرـاز
ولا عرض منتضيه المخـازي
يوم شربي ومعقلي في البـراز
مقلتي غمـده من الإعـزاز
فتصدى للغيث أهل الحـجاز
ولو أنى له إلى الشمس عازى
دونه قضم سكر الأهـواز

قافية السين

خريدة لو رأتها الشمس ما طلعت
لو كان فيض يديه ماء غاديـه
أكارم حسد الأرض السماء بهم

ولو رآها قضيب البان لم يمس
عز القطا في الفيافي موضع اليبس
وقصرت كل مصر عن طرابلس

أي الملوك – وهو قصدي – أحاذره وأي قرن وهو سيفي وهم ترسي

إن كنت طاغنة فإن مدامعي تكفي مزاد كم وتروي العيسا
 بشر تصور غايقة في آية تنفي الظنون و تفسد التقييسا
 وبه يضمن على البريعة لا بها وعليه منها لا عليها يوسى
 لو كان ذو القرنين اعمل رأييه لما أتى الظلمات صرن شموسا
 أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
 أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
 أو كان للنيران ضوء جبينه عبت فصار العالمون مجوسا
 لما سمعت به سمعت بواحد ورأيت فرأيت منه خميسا
 ولحظت أنمله فسلن مواهبها ولمست منصله فسال نفوسا
 يا من نلود من الزمان بظله أبدا ونطرد باسمه إبليسا
 صدق المخبر عنك دونك وصفه من بالعراق يراك في طرسوسا
 لو جادت الدنيا فدتك بأهلها أو جاهدت كتبت عليك حبيسا

قافية الشين

فإن الفارس المنعوت خفت لمنصله الفوارس كالرياش
 كأن على الجماجم منه نارا وأيدي القوم أجنحة الفراش
 ورائعها وحيد لم يرعه تباعد جيشه والمستجاش
 كأن تلوى النشاب فيه تلوى الخوص في سعف العشاش

قافية الضاد

سلام الذي فوق السموات عرشه
قافية العين
تخص به يا خير ماش على الأرض

يطمع الطير فيهم طول أكلهم
ولو رآه حواريوهم لبنوا
كأنها تتلقاهم لتسكههم
حتى تكاد على أحيائهم تقمع
على محبته الشرع الذي شرعوا
فالطعن يفتح في الأجواف ما

تسع

تهدي نواظرها والحرب مظلمة
تغدو المنايا فلا تنفك واقفة
ولو حملت صم الجبال الذي بنا
فتى الف جزء رأيه في زمانه
ألا أيها القليل المقيم بمنبج
ليس عجيبا أن وصفك معجز
وأنك في ثوب و صدرك فيكما
و قلبك في الدنيا ولو دخلت بنا
من الأسنة نار والقنا شمع
حتى يقول لها عودي فتندفع
غداة افترقنا أو شكت تتصدع
أقل جزئي بعضه الرأى أجمع
وهمته فوق السماكين توضع
وأن ظنوني في معاليك تظلمع
على أنه من ساحة الأرض أوسع
و بالجن فيه ما درت كيف ترجع

أو ما وجدتم في الصراة ملوحة
منعمة ممنوعة رداح
بعيد الصيت منبث السريعا
إن استجرات ترمقه بعيدا
فلا عزل وأنت بلا سلاح
لو استبدلت ذهنك من حسام
لو استفرغت جهدك في قتال
سموت بهمة فتسمو
وهبك سمحت حتى لا جواد
مما ارقرق في الفرات دموعي
يكلف لفظها الطير الوقوعا
يشيب ذكره الطفل الرضيعا
فأنت أسطعت شيئا ما استطيعا
لحاظك ما تكون به منيعا
قددت به المغافر و الدروعا
اتيت به على الدنيا جميعا
فما تلتفى بمرتبة قنوعا
فكيف علوت حتى لا رفيعا

قائمة المصادر و المراجع

1. المصادر
2. المراجع الأساسية
3. المراجع الحديثة
4. المعاجم
5. الرسائل الجامعية
6. المجلات

أولا : المصادر

- المنتبي ، أحمد بن الحسين
 1. الديوان. شرح عبد الرحمان البرفوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. 1986م. 1407هـ.
 أبو نواس ، الحسن ابن هانئ
 2. الديوان. تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي. دار الكتاب العربي بيروت. دون تاريخ
 ابن هاني ، أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي
 3. الديوان . دار صادر دون تاريخ.

ثانيا : المراجع الأساسية

- ابن أبي سلمى ، زهير
 1. الديوان. اعتنى به وشرحه حمدو طماس. دار المعرفة. بيروت 1423 هـ ، 2003 م. ط1
 الأصفهاني، أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن.
 2. الواضح في مشكلات شعر المنتبي. تحقيق محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر ،
 تونس. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. 1986. ط2.
 الباقلائي ، أبو بكر محمد بن الطيب
 3. إعجاز القرآن. تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتاب الثقافية. ط1.
 1990 م ، 1411 هـ
 التفتازاني ، سعد الدين
 4. مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للقرويني. ضمن شروح
 التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
 ابن ثابت ، حسان
 5. الديوان. شرح أحمد فاضل. دار الفكر اللبناني. بيروت. دون تاريخ.
 الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري
 6. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر.
 بيروت. ط 2 . 1393 هـ ، 1973 م.
 الجاحظ ، عمرو بن بحر
 7. البلاء. تقديم و تحقيق المحامي فوزي عطوي. الشركة اللبنانية للكتاب. بيروت. دون
 تاريخ.
 8. الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. 1416 هـ ، 1996 م.
 9. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. 1990. ط 5

10. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. مصر ومكتبة المثنى. بغداد 1381 هـ ، 1961 م. ط 2. في داخل الكتاب مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1380 هـ ، 1960.
- الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز
11. الوساطة بين المتنبى وخصومه. تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية. لبنان. دون تاريخ.
- ابن جعفر ، قدامة
12. نقد الشعر. تحقيق كمال مصطفى. مكتبة الفانجي. القاهرة. ط 3.
13. ظواهر الألفاظ. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 1 . 1979 م.
- الحموي ، ابن حجة
14. خزانة الأدب وغاية الأرب. شرح عصام شعيثو. دار مكتبة الهلال. بيروت. ط 1 . 1987
- ابن الخطيب ، لسان الدين
15. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي. 1394 هـ ، 1974 م. القاهرة.
- ابن خفاجة ، أبو اسحاق إبراهيم
16. الديوان. تحقيق السيد مصطفى غازي. منشأة المعارف الإسكندرية. 1960.
- الخفاجي ، ابن سنان
17. سر الفصاحة. دار الكتب العلمية. بيروت . ط 1. 1402 هـ ، 1982 م.
- ابن خلدون ، عبد الرحمان
18. المقدمة. دار الفكر العربي. بيروت . ط 1. 1997.
- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي المصري
19. جمهرة اللغة. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد لصاحبها محمد الرجب. ط 1 . 1351 هـ
- الدسوقي
20. حاشية الدسوقي على شرح السعد. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
- ابن رشيقي ، القيرواني أبو علي الحسن
21. العمدة في صناعة الشعر ونقده. تحقيق وشرح مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت . ط 1. 1983 م.
- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله
22. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة. بيروت. ط 2. دون تاريخ.
- الزمخشري ، أبو القاسم
23. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الفكر للطباعة والنشر. دون تاريخ.

- السبكي ، بهاء الدين
 24. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
 السجل ماسي ، أبو القاسم
 25. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع. تقديم وتحقيق علال الغازي. مكتبة المعارف. الرباط 1401 هـ ، 1980 م . ط 1.
 سركين ، فؤاد
 26. تاريخ التراث العربي. الشعر. ترجمة د/ عرفة مصطفى. وزارة التعليم العالي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية. 1401 هـ ، 1984 م.
 ابن شداد ، عنتره
 27. الديوان. اعتنى به وشرحه حمدو طماس. دار المعرفة. بيروت. 1423 هـ ، 2003 م. ط 1.
 الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم
 28. الملل والنحل. تحقيق محمّد فريد. المكتبة التوفيقية. القاهرة. دون تاريخ.
 ابن طباطبا ، محمد ابن طباطبا العلوي
 29. عيار الشعر. تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع. مطبعة المدى. المؤسسة السعودية بمصر. توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة.
 الطبري ، محمد بن جرير
 30. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر. بيروت. 1405. عن القرص المضغوط مكتبة العقائد والملل. الإصدار 1.5. 1419 هـ ، 1999 م. إعداد الخطيب للتسويق والبرامج عمان. الأردن. الإشراف العلمي التراث مركز لأبحاث الحاسب الآلي.
 العباسي ، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد
 31. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. عالم الكتب. بيروت. 1947 م.
 العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله
 32. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل ابراهيم. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. 1406 هـ .
 العلوي ، يحيى بن حمزة
 33. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز. أبو الفرج ، عبد الرحمان بن علي بن محمد
 34. تلبيس إبليس. دار الكتاب العربي. بيروت. 1405 هـ . 1985 م. ط 1. تحقيق السيد الجميلي. عن القرص المضغوط العقائد والملل.
 ابن قتيبة ، الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم
 35. تأويل مشكل القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. 1954.
 القرطاجني ، حازم

36. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب بن فوجة. دار الكتب الشرقية. تونس 1964.
- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
37. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. 1387 هـ ، 1967 م. مصورة عن طبعة دار الكتب.
- القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب
38. التلخيص في علوم البلاغة. ضبط وشرح عبد الرحمان البرقوقي. المكتبة التجارية الكبرى مصر. 1350 هـ ، 1932 م. ط 2.
- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد
39. الكامل. علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم. دار نهضة مصر للطبع والنشر. الفجالة. دون تاريخ.
- المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد و السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر
40. تفسير القرآن العظيم. دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- المراكشي ، ابن البناء العددي
41. الروض المريع في صناعة البديع. تحقيق رضوان بن شقرون. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. 1985.
- المرتضي ، الشريف
42. أمالي المرتضى. غرر الفوائد ودرر القلائد — تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة. 1954.
- المرزوقي ، أبو علي
43. شرح ديوان الحماسة. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون. القاهرة. 1951.
- المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى
44. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. تحقيق علي محمد البجاوي. دار نهضة مصر. 1965.
- ابن المعتز ، عبد الله
45. كتاب البديع. اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشكوفسكي. دار المسيرة. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب. ط 2. 1399 هـ ، 1979 م.
- المغربي ، ابن يعقوب
46. مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح. ضمن شروح التلخيص. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. مصر.
- ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي
47. البديع في البديع نقد الشعر. تحقيق علي مهنا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1. 1407 هـ ، 1987 م.
- ابن نباتة ، جمال الدين المصري

48. شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا ، بيروت . 1406 هـ ، 1986 م.
ابن وهب ، إسحاق الكاتب
49. البرهان في وجوه البيان. تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي. جامعة بغداد. 1967. ط1

ثالثا : المراجع الحديثة

- أدونيس ، علي أحمد سعيد
1. الثابت والمتحول بحث في الاتباع والإبداع عند العرب. الكتاب الثاني تأصيل الأصول. دار العودة. بيروت . 1983. ط 4.
الأسمر ، راجي
2. علوم البلاغة. الموسوعة الثقافية العامة. إشراف. اميل يعقوب. دار الجيل. بيروت. 1420 هـ ، 1999 م. ط 1.
الألباني ، محمد ناصر الدين
3. صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند. إشراف زهير الشاويش. مكتبة التربية العربية لدول الخليج. ط 3 . 1408 هـ ، 1988 م.
4. صحيح سنن النسائي باختصار السند. صحيح أحاديث محمد ناصر الدين الألباني. إشراف زهير الشاويش. مكتبة التربية العربية لدول الخليج. ط 1 . 1408 هـ ، 1988 م.
الأيوبي ، ياسين
5. المتنبي في عيون قصائده. المكتبة العصرية. 1423 هـ ، 2002 م. ط1.
إسماعيل ، عز الدين
6. التفسير النفسي للأدب. دار العودة. بيروت. ط 4 . 1981.
بدوي ، أحمد أحمد
7. أسس النقد الأدبي عند العرب. مكتبة نهضة مصر. الفجالة. ط 3 . 1964.
8. من النقد و الأدب. (المجموعة الرابعة). مكتبة نهضة مصر. الفجالة. دون تاريخ.
البهيتي ، نجيب محمد
9. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري .دار الفكر مكتبة الخانجي . دون تاريخ.
الجابري ، محمد عابد
10. بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان. 2000 . ط 6 .
الجوزو ، مصطفى
11. نظريات الشعر عند العرب. (الجاهلية والعصور الإسلامية). دار الطليعة للطباعة و النشر. ط 1 . 1402 هـ ، 1981 م.

- الجويني الصاوي ، مصطفى
 12. البديع لغة الموسيقى والزخرف. منشأة المعارف الاسكندرية. دون تاريخ .
 أبو حاتم ، نبيل خليل
 13. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري من خلال بيتمة الدهر. دار الثقافة.
 الدوحة. 1405 هـ ، 1985 م.
 الحاجري ، طه
 14. مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية. دار النهضة العربية. 1983.
 ط 3.
 حاوي ، إيليا
 15. فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب. دار الثقافة. بيروت. دون تاريخ.
 حسن ، إبراهيم
 16. تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب. مكتبة النهضة المصرية.
 مصر 1964. ط 3.
 حسين ، طه
 17. حديث الأربعاء. دار المعارف. مصر. ط 9. 1968.
 حسين ، عبد القادر
 18. فن البديع. دار الشروق. دون تاريخ.
 أبو حمدان ، سمير
 19. الإبلالية في البلاغة العربية . منشورات عويدات الدولية . بيروت . باريس. 1991 . ط 1
 ابن درع ، عبود بن علي
 20. ظاهرة الغلو في الدين الأسباب والمظاهر والعلاج. دار الصمعي للنشر و التوزيع
 الرياض. المملكة العربية السعودية. ط 1 . 1419 هـ ، 1998 م.
 دوب ، رابح
 21. البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري. دار الفجر للنشر والتوزيع
 القاهرة. ط 1 . 1997 .
 الدوري ، عبد العزيز
 22. الجذور التاريخية للشعبية . دار الطليعة. بيروت. 1981. ط 3.
 سلام ، محمد زغلول
 23. أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى آخر القرن الرابع الهجري. دار المعارف. مصر.
 ط 3.
 24. النقد العربي الحديث. مكتبة الأنجلو المصرية. دون تاريخ.
 سلطان ، منير
 25. البديع تأصيل وتجديد. منشأة المعارف الإسكندرية. جلال جزي وشركاه. 1986 م.
 سمرة ، محمود

26. القاضي الجرجاني الأديب الناقد. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. 1979. ط 2.
- سويدان ، سامي
27. في النص الشعري العربي. مقاربات منهجية. دار الآداب. 1999. ط 2.
- سوييف ، مصطفى
28. الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة. دار المعارف. مصر.
- الصاوي ، أحمد عبد السيد
29. مفهوم الإستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين. دراسة تاريخية فنية. منشأة المعارف الإسكندرية. 1988.
- ضيف ، شوقي
30. البلاغة تطور وتاريخ. دار المعارف. مصر. ط 2.
31. الفن ومذاهبه في الشعر العربي. دار المعارف. مصر. ط 8.
- طبانة ، بدوي
32. البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ط 6 . 1396 هـ ، 1976 م.
33. النقد الأدبي عند اليونان. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الأولى . 1387 هـ ، 1967.
- عباس ، إحسان
34. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري. دار الثقافة. بيروت. ط 5 . 1406 هـ ، 1986 م.
35. تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري. دار الشروق. ط 2 المنقحة . 1997.
- عبد الله ، محمد حسين
36. الصورة والبناء الشعري. دار المعارف. القاهرة. مكتبة الدراسات الأدبية. دون تاريخ.
- عتيق ، عبد العزيز
37. في البلاغة العربية. علم المعاني. البيان. البديع. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. دون تاريخ.
38. في النقد الأدبي. دار النهضة العربية. بيروت. 1391 هـ ، 1972 م . ط 2.
- العشري ، محمد رياض
39. التصوير اللغوي عند الاسماعيلية. دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي. منشأة المعارف الاسكندرية. 1985 .
- عصفور ، جابر
40. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. المركز الثقافي العربي. بيروت. 1992. ط 3.
- العقاد ، عباس محمود
41. أبو نواس الحسن بن هانئ. منشورات المكتبة العصرية. بيروت ، صيدا. دون تاريخ.
- عياد ، شكري

42. كتاب أرسطو طاليس في الشعر نقل أبي بشر بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي. دار الكتاب العربي للطباعة و النشر. القاهرة 1387 هـ ، 1967 م .
عيد ، رجاء
43. فلسفة البلاغة. منشأة المعارف الاسكندرية. دون تاريخ.

الفيل ، توفيق

44. القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى ابن المعتز. مطبوعات جامعة الكويت.

ابن قاسم ، عبد الرحمان بن محمد العاصمي النجدي

45. مجموع فتاوى شيخ الإسلام محمد بن تيمية. مطابع الرياض. ط 1 . 1381 هـ
قطب ، سيد

46. في ظلال القرآن. دار إحياء التراث العربي. بيروت ط 3 . 1961.

الكفراوي ، محمد عبد العزيز

47. الشعر العربي بين الجمود والتطور. دار النهضة. مصر للطبع والنشر. الفجالة. القاهرة.
لاشين ، عبد الفتاح

48. بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية. دار الفكر العربي. دون تاريخ.

متز ، آدم

49. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام. نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة. الدار التونسية للنشر. تونس. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1405 هـ ، 1986 م.

المصري ، محمد بن عبد الغني

50. نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي. دار مجدلاوي عثمان. الأردن
ط 1 1407 هـ ، 1987 م.

مطلوب ، أحمد

51. فنون بلاغية. البيان والبدیع. دار البحوث العلمية. الكويت. ط 1 1395 هـ ، 1975

المراغي ، أحمد مصطفى

52. علوم البلاغة. البيان والمعاني والبدیع. دار إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. ط 10
على الغلاف الخارجي ط 5 في داخل الكتاب. 1992.

مندور ، محمد

53. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة. مترجم عن الأستاذين لانسون و
ماييه. دار نهضة مصر. الفجالة. القاهرة. دون تاريخ.

موافي ، عثمان

54. التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري.
مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية. ديسمبر 1973 م.

- موسى ، أحمد إبراهيم
 55. الصبغ البديعي في اللغة العربية. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. 1388 هـ ، 1969 م.
 مومني ، قاسم
 56. نقد الشعر في القرن الرابع الهجري. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة. 1982.
 ناصف ، مصطفى
 57. الصورة الأدبية. دار الأندلس. ط 2 . 1401 هـ ، 1981 م.
 نعجة ، فتحي أسعد إسماعيل
 58. الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي. دار البشائر عمان الأردن. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان 1461 هـ ، 2000 م. ط1.
 الهاشمي ، السيد أحمد
 59. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. مطبعة السعادة. مصر 1350 هـ ، 1931 م.

رابعاً : المعاجم

- البستاني ، المعلم بطرس
 1. محيط المحيط. مكتبة لبنان. بيروت. 1977.
 2. دائرة المعارف الإسلامية.
 نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي. أجمد الشنتاوي. إبراهيم زعي خور شيد. عبد المجيد يونس. 1352-1933.
 الزبيدي ، محمد مرتضى
 3. تاج العروس من جواهر القاموس. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. ط1. 1306 هـ.
 عبد الباقي ، محمد فؤاد
 4. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار ومطابع الشعب. دون تاريخ.
 ابن فارس ، أحمد بن زكريا
 5. معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت. ط 1. 1411 هـ ، 1991 م.
 لابلانش ، جان و بونتايس ، ج. ب
 6. معجم مصطلحات التحليل النفسي. ترجمة د/ مصطفى حجازي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1405 هـ ، 1985 م. ط1.
 ابن منظور الإفريقي ، لسان الدين
 7. لسان العرب المحيط. دار صادر. دار بيروت. 1956 م ، 1375 هـ
 وجدي ، محمد فريد
 8. دائرة معارف القرن العشرين. دار المعرفة. بيروت. 1971 . ط3 .

خامسا : الرسائل الجامعية

العيس ، مصطفى

1. أثر المتنبي في أعلام الشعر الأندلسي. أطروحة دكتوراه. جامعة حلب. كلية الآداب و العلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية. إشراف د / عصام قصيجي. سنة 2000.

عيكوس ، الأخضر

2. ظاهرة البديع في الشعر العربي. دراسة في الوظيفة والمصطلح. أطروحة دكتوراه. إشراف د. مختار بولعراوي. جامعة قسنطينة ، معهد الآداب واللغة العربية. سنة 1416 هـ ، 1995 م
3. الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية. دراسة بلاغية نقدية. رسالة ماجستير. جامعة قسنطينة.

سادسا : المجلات

عيكوس ، الأخضر

1. " مفهوم الصورة الشعرية حديثا ". مجلة الآداب. جامعة قسنطينة. العدد 03 . 1996.
2. " مفهوم الصورة الشعرية قديما ". مجلة الآداب. جامعة قسنطينة. العدد 02 . 1995.
3. " ظاهرة انتشار البديع في الشعر العربي ومواقف النقاد والبلاغيين منها ". مجلة كلية الآداب وجدة. المملكة المغربية. العدد 7.

فهرس الموضوعات

الصفحة	
أ	المقدمة ..
1	مدخل ..
2	• أولا : تعريف الغلو .
13	• ثانيا : مصطلحات لها علاقة بالغلو .
22	• ثالثا : الغلو و الدين .
31	الفصل الأول : الموقف النقدي من الغلو .
33	• أولا : نقاد مع الغلو .
45	• ثانيا : نقاد ضد الغلو .
54	• ثالثا : نقاد الاعتدال أو اللاموقف .
67	الفصل الثاني : الدراسة البلاغية .
68	• أولا : أسباب الغلو .
87	• ثانيا : الغلو عند أرسطو .
92	• ثالثا : جماليات الغلو .
106	الفصل الثالث : منطلقات الغلو النفسية .
107	• أولا : أبو نواس .
127	• ثانيا : المتنبي .
142	• ثالثا : ابن هانئ الأندلسي .
158	ملحق بأبيات الغلو .
159	• أولا : أبو نواس .
192	• ثانيا : المتنبي .
211	• ثالثا : ابن هانئ الأندلسي .
224	الخاتمة .
229	قائمة المصادر و المراجع .
243	فهرس الموضوعات ..